رواية ساخرة
ليلة النصف من فبراير
محمد محمود
February
14

الطبعة الأولى

٢٠١٤

بطاقة فهرسة

محمود ، محمد
ليلة النصف من فبراير / محمد محمود
ط١. - القاهرة: دار غراب للنشر
والتوزيع، ٢٠١٣
١٤٠ص ., ١٤×٢٠ سم.
تدمك . ٥ ٤٣ ٦٣٢٤ ٩٧٨٩٧٧
١- القصص العربية
أ- العنوان
٨١٣

رقم الإيداع
٢٠١٣ / ٢٣٩٥٨

دار غراب للنشر والتوزيع
القاهرة – مدينة نصر
٢٨ شارع الدكتور حسن إبراهيم حسن
ت: ٢٦٧٠٦٠٦٦ فاكس: ٢٢٨٧٩٨٣٦

تنويه

الأحداث الواردة فى هذا الكتاب هى من وحى خيال المؤلف، ولا تمت للواقع بصلة، وأى تشابه فى الأحداث أو الشخصيات بين هذا الكتاب وبين الواقع فهو من قبيل الصدفة البحتة ..

وربنا يستر ..

المؤلف .

اللهم بلغنا الفلانتين !

غداً هو الفالانتين، وهو ليس يوماً عادياً، إنه ذلك اليوم الذى تكتسى فيه البلاد من شرقها إلى غربها باللون الأحمر .

بعض الناس لا يعرفون عنه شيئاً، وبعض الناس ينتظرونه عاماً بعد عام، وبعض الناس أمثالى يكتفون باستراق النظـــر إلى الهدايا الحمراء هنا وهناك، واستراق السمع إلى الأغـــانى العاطفية الهادئة، والحقد على أولئك **الكابلز** الذين لا يراعون مشاعر **السناجل** أمثالنا .

لا أنكر أننى أفضِّل ملازمة البيت فى هـــذا اليـــوم درءاً للمفاسد والمحاسد والمحاقد على أولئـــك العاشـــقين الـــذين خرجوا يلبُّون نداء الأفئدة فى مولد سيدى الفالانتين بعـــدما ارتدوا كل الأحمرات التى يمتلكونها، وقدَّموا القـــرابين مـــن عطورٍ وورودٍ حمراء أيضاً، وكأن الفالانتين لا يعتـــرف إلا بكل ما هو أحمر، أو **بينك** على قول بعض أهل العشق !

أخبرنى صديقى العاشق أن فالاتنين هو اسـم قـديسٍ صدرت له الأوامر مثل الجميع من الإمبراطور كلاوديـوس الثانى بعدم تزويج الناس؛ ذلك لأن الجنود عزفوا عن خوض الحروب وسفك الدماء وأرادوا الزواج وبناء حياة مستقرة، مما يهدد مستقبل الإمبراطورية الرومانية، وعليه فقد صـدر قرار تحريم الزواج، ومن يخالف القرار يُعدم علـى الفـور، ودون محاكمة .

و لم يستطع القديس فالانتين تنفيذ هذا القـرار الظـالم، وقرر أن يزوِّج المحبين سرًّا، لكن سره انكشف وأعدمه جنود كلاوديوس .

قلت لصديقى: إن فالانتين مات فى سبيل تطبيق شـرع الله، وقتلته كلمة حقٍ عند سلطانٍ جائر، ففيم احتفالكم به؟

ابتسم صديقى قائلاً: بل هو شهيد الحب مات مـدافعاً عنه منقذاً أربابه؛ لذلك يحتفل العشاق فى كل أنحاء العـالم بهذا اليوم من كل عام تقديراً لهذا الرجل الذى ضحى بحياته من أجل الحب .

ربما أخبرنى صديقى عن سبب الاحتفال والاحتفاء بهـــذا اليوم، لكنه عجز عن تفسير سر اللون الأحمر الذى يطغـــى على مراسم الفالانتين، فقلت فى نفسى لعل فالانتين كـــان أهلاويًّا !

الأسطورة

تقول الأسطورة إن من لا يشترِ شيئاً أحمر فى هذا اليوم تلعنه الآلهة وتسخطه دبدوباً أحمر، ولأننى لا أريد أن أقضى ما بقى عمرى دبدوباً مسخوطاً هرعت إلى المكتبة واشتريت قلماً أحمر !

ذهبت إلى المدرسة وانهمكت فى العمل ونـــسيت أمـــر الفالانتين حتى رأيتها ..

لم تكن المرة الأولى التى أراها فيها، فنحن زمـــلاء منـــذ بداية العام الدراسى، لكنها بدت مختلفة هذه المرة ..

تحيط بها هالة من الجمال والبهاء والروعة، عيناها تشرق بنظرات مفعمة بالحياة، ابتسامتها تـــلازم شـــفتيها، تبـــدو شخصية شاعرية حالمة، كنت أنظر إليها وقد ارتخى جفناى فوق عينىَّ، ومال عنقى على كتفى، وارتسمت على شـــفتىَّ ابتسامةٌ بلهاء، وبدأ صدرى يعلو ويهبط، خاصـــةً وهـــى

تتحرك نحوى، لم يكن فى غرفة المعلمين سوانا، وقفت أمامى مباشرةً، ونظرت فى عينىَّ وقالت وابتسامتها لم تغادر شفتيها: أريد قلماً أحمر، فقلمى لم يعد يكتب .

لم أحرَّك ساكناً، وظللت أنظر إليها فى بلاهة، فقالت ضاحكةً: فهد ينادى أسد .. أريد قلماً أحمر .. هل تسمعنى.. حوِّل !

أفقت على صوت ضحكتها وقلت مرتبكاً: طبعاً طبعاً، وأخرجت القلم الجديد وقدمته لها وأنا أقول: هابى فالانتين .

ضحكت مرة أخرى وهى تقول: إنها المرة الأولى التى تقال لى فيها هذه الكلمات، أشكرك على القلم .

انصرفت وما انصرفت عن تفكيرى لحظة، لا أعلم لماذا صرت فجأة مهتماً بها، حتى إننى يومها بحثت عنها على الفيس بوك حتى وجدتها، وأرسلت إليها طلب صداقة ورسالة أسألها فيها عن القلم !

لم أصدِّق نفسى حينما احمرَّت أيقونة الرسائل فى الفيس بوك معلنةً عن ورود رسالة منها .

تحدثنا كثيراً يومها، تحدثنا فى كل شىء، كنـــت أقـــرأ كلماتها وكأنها نوتة موسيقية، وأكتب لها وكأننى أعـــزف على الكيبورد .

التدبيسة

لأيامٍ قليلة متتالية كان الحديث موصولاً بيننا بـــالعيون صباحاً، وعلى الفيس بوك مساءً، حتى تأكد لنا هذا الشعور الخفى الذى يداعب حنايانا، فاعترفت لها بما أشعر وقلـــبى يكاد ينفجر فى صدرى ..

ارتبكت وزاغت عيناها خجلاً واحمرَّ وجههـــا حيـــاءً وتعثرت الكلمات على لسانها فلم تقل جملة مفيدة ،لكـــنى استطعت أن أنتزع من بين حروفها المتناثرة اعترافاً بحبها لى، وهنا أدرك شهرزاد الكـــسوف فـــسكتت عـــن الكـــلام والحروف، وأكملنا الحديث بلغة العيون العاشقة، فـــشعرت وكأننى أهيم فى عالمٍ وردىٍّ ليس فيه غيرها، تـــشدو فيـــه البلابل وتبوح الأزهار بأسرارهاحتى أفقت على قولها: مـــتى ستقابل أبى؟

فقلت متعجباً وقد عدت من بـــلاد الأحـــلام إلى أرض الواقع: وفيم التعجُّل؟ أنا لست مستعداً الآن، انتظرى حتى تتحسن حالى، حتى لا يكون هناك مجالاً للرفض .

لم يعجبها كلامى وظلت تقنعنى بمقابلة أبيها؛ لأنها تكره أن تفعل شيئاً بدون علم أهلها، وراحت تزيِّن الأمر فى عينى، وتؤكد أن أباها لن يمارس علىَّ أية ضغوطات، ولن يبالغ فى طلباته، بل إنه يشعر بى وبمعانـــاتى إذ إن أخاهـــا فى مثـــل موقفى، وحاله كحالى، وأهل خطيبتـــه يـــضيِّقون عليـــه بمطالبهم، ومحالٌ أن يكرر عنتهم معى .

كان كلٌّ منا متمسكٌ برأيه ومصرٌّ عليه، هى مصرة على إجراءِ المقابلة فى أسرع وقتٍ ممكن، وأنا مصرٌّ على التـــأنى ريثما ينصلح الحال، وبعد مناظرة جدلية طويلة أظهرت لهـــا الوجه المتشدد المتمسك برأيه الثابت عليه ..

المهم .. حدَّدت لى موعداً مع أبيها السبت القادم !

السبت

كان صديقى العاشق قد أشار علىَّ أن أذهب لهم يـــوم السبت وفى يدى باقة ورد .

بمجرد أن طرحت الفكرة على أبى وأمى قامت الدنيا و لم تقعد، مصمصت أمى شفتيها وقالت ساخرة: ورد!

ولماذا لا تشترى لهم كتاب شعرٍ كتلك التى تضيع عليها راتبك !

بينما عدَّل أبى وضع النظارة على عينيه وقــال بتعقُّـــل: اشترِ لهم شيئاً يأكلونه .. دستة جاتوه مثلاً .

فأيدته أمى: نعم، أطعم الفم تستحِ العين !

جاء يوم السبت وقد أحضرت دستة الجاتوه التى أسفرت عنها مباحثات السيد الوالد والسيدة قرينته، علـــى أنـــى لم أتراجع عن اقتراح صديقى واشتريت الورد .

لم تكف أختى عن الضحك طوال الطريق على هيئتى وأنا أحمل الورد والجاتوه، وبالطبع لم أسلم مـــن تهكمـــات أبى ومصمصة أمى .

طرقت الباب فانفتح على الفور عن أطفـــال –عرفـــت بعدها أنهم إخوتها– فانقضوا على علبة الجاتوه وأخفوها فى مكانٍ مجهول، وانتزعوا باقة الورد من بين أصابعى واختفوا عن أنظارنا فى لمح البصر، ولم يُستدل بعد على مكان الجاتوه ولا الورد !

أخيراً خرج علينا أبوها يستقبلنا ويرحب بنا ويعتذر عن شقاوة أبنائه، جلسنا نتعارف ونتفق على كل شىء ..

للأمانة كان الرجل بسيطاً ولم يبالغ فى مطالبه، باستثناء مطلب واحد .. أن يكون الزواج خلال سنة ..

أبديت تحفظى بتهذيب، فهالنى ما فعل أبى، لقد وافـــق على كلام أبيها، بدأت أسجل اعتراضى لكن أحداً لم يعرنى اهتماماً، بل وجدتهم يقرءون الفاتحة ويطلقـــون الزغاريـــد

ويهنئون أنفسهم ويُقبِّلون بعضهم، وأنا واجمٌ أفكر فى السنة التى أمهلونيها .

مضت دقائق لم أدرِ عددها، قدموا لنا فيها المشروبات، و لم يقدموا لنا الجاتوه الذى دفعت فيه دم قلبى !

هممنا بالانصراف بعدما تم الاتفاق، وكادت أمها تصعق من فتات الورد المسحوق أمام باب البيت، وتعتذر لنا: سامحونى، لا أدرى من أين جاء الأطفال بهذه القمامة !

لم أعرف إلى أين أهرب من نظرات أبى وأمى المتشفية وضحكات أختى المستفزة، فنظرت إلى الأرض وأنا أتوعد صديقى بالويل !

الخطوبة

قررنا إقامة حفل صغير نعلن فيه خطبتنا، وبالفعل أقمنـــا حفلاً فى بيتها، سارت كل الأمور على خير ما يرام، وكما أعددنا له، باستثناء استحواذ أهلها على البوفيه !

كاد اليوم أن يمضى فى هدوء، ولكن الأقدار أبت إلا أن يحدث ما حدث ..

أثناء وقوفى مع بعض أصدقائى أرحب بهم، إذ بشابٍ لا أعرفه يقترب منها ويمسك بذراعها لتلفت إليـــه ويتبـــادلان الضحكات سويًّا فى صورة أثارت أعصابى وأشعلت حميتى، فاندفعت نحوهما والغضب يتطاير من عينى، ويبدو أنها رأت آيات الغضب على وجهى فأسرعت نحوى لتحـــول بـــينى وبينه..

- ماذا بك ؟

- أتسألين ماذا بى ؟! وكأنك لم تفعلى شيئاً ؟

– اهدأ وأخبرنى ماذا حدث ؟

– من هذا الذى كنتِ تقفين بصحبته ؟

– إنه ابن عمى .

– وكيف تسمحين له أن يمسك بذراعك هكذا ؟

– قلت لك إنه ابن عمى، وقد تربينا سوياً .

– أشك أنكم قد تربيتم أصلاً، ثم إن هذا لا يعنى أن تقفى معه على هذه الهيئة وتضحكون بهذه الطريقة المستفزة.

– كفاك تجريحاً، إنه مثل أخى .

– كم أمقت هذه الكلمة، لا أحد مثل أحد .

– لم يحدث ما يستدعى كل هذا الغضب .

– يبدو أن بيننا اختلافاتٍ كثيرة، أنا رجل محافظ .

– أتقصد أننى متسيِّبة ؟!

– أقصد ما أقصده .

– عموماً أنا أقدِّر غيرتك، آسفة إن كنت قد أخطأت .

– لو تكرر هذه الأمر ثانيةً فسيكون لى موقفاً حازماً .

– أتهددنى ؟!

قاطعت ابنة خالتي التي وصلت تــوًّا حــديثنا الملتــهب بزغرودة انطلقت بعدها نحوي تهنئني بالأحضان والقبلات !

اجتماع

" كنت قد نذرت ما بقى من العمر فى محراب الوحدة، وطويت صفحة الحب من قلبى إلى الأبد، حـــتى رأيتـــك .. فعاد قلبى ينبض من جديد .. ينبض باسمك .. أحبك .. يـــا ملاك العمر ..

المخلص إلى الأبد "

كتبت هذه الكلمات على بطاقة صغيرة ووضعتها لهـــا خلسة على مكتبها فى غرفة المعلمين، ثم ذهبت إلى حصتى .

وشاءت الأقدار أن تفتح إحدى المعلمات النافذة، فحرَّك الهواء البطاقة إلى حيث تجلس الأستاذة عطيات، ومـــا أدراك من الأستاذة عطيات .

ما أن جلست على مكتبها حتى وقعت عيناهـــا علـــى البطاقة، فلما فتحتها فتحت حنجرتها على مصراعيها:

- من الوقح الذى كتب لى هذه الكلمات، أنا لن أسكت أبداً على هذه الوقاحة ..

انتبه الجميع لصراخها وتجمهروا حولها يسألونها عما حدث ويحاولون تهدئة روعها وهى تتمادى فى طغيانها وتعيث فى المدرسة صراخاً وضجيجاً، ولما لم تستدل على صاحب البطاقة ذهبت بها إلى مدير المدرسة رأساً .

كل هذا وأنا فى الفصل لا أدرى شيئاً، حتى أتانى زميلٌ وأخبرنى بقرار المدير بخصوص عقد اجتماعٍ بعد انتهاء اليوم الدراسى .

انتهيت من عملى وتوجهت إلى غرفة الاجتماعات والجميع يتحدثون فى حكاية أستاذة عطيات ويتساءلون عن هوية العاشق المجهول، وأنا لا أفهم شيئاً مما يدور .

بدأ الاجتماع وقص المدير علينا ما قصته عليه الأستاذة عطيات، ثم قام برفع البطاقة ليعرضها علينا سائلاً عن صاحبها ..

غصت فى مقعدى وأنا أرفع أصبعى ..

بعد ساعاتٍ من الشرح تفهَّم المدير أن خطيبتى كانـــت هى المقصودة وليست أستاذة عطيات وأن ما جرى كـــان سوء تفاهم، وأقسمت أنى لا أعرف كيف انتقلت البطاقـــة إلى أستاذة عطيات ..

وحتى لا أنسى أن المدرسة ليست مكانا لهذه **المسخرة** على حد تعبير السيد المدير فقد قام سيادته مشكوراً بخـــصم أسبوعٍ من راتبى !

كل عامٍ وأنت حبيبتى

انتظرت حتى دقت الساعة الثانية عشرة لأرسل لها رسالة على هاتفها: " كل عامٍ وأنتِ بخير .. كل عـــامٍ وأنـــتِ حبيبتى " .

كان عيد مولدها الأول بعد ارتباطنا، وبالتالى لـــزم أن يكون مميزاً .

كنت أنتوى أن أضع لها وردة مرفق بها بطاقة رقيقة على مكتبها، لكننى ما لبثت أن تذكرت مـــا جـــرى فى المـــرة السابقة، فعدلت عن تلك الفكرة على الفور، واســـتدعيت إحدى التلميذات وأعطيتها لفافة، وطلبت منها أن تـــسلِّمها لها يداً بيد، وأن تحـــرص ألا يراهـــا الـــسيد المـــدير درءاً للخصومات .

لم تمضِ دقائق حتى رن هاتفى برنة رسالة تشكرنى فيها على الوردة والكلمات الرقيقة التى كتبتها لها على البطاقة .

بعد انتهاء اليوم الدراسى عـــدت ســـريعاً إلى مـــترلى وتناولت غدائى على عجالة، ثم دلفت إلى غـــرفتى لأبـــدِّل ملابسى استعداداً لهذا اليوم الحافل، كنت قـــد قـــررت أن أفاجئها بإقامة أول عيد مولد لها بعد الخطوبة .

حملت الكعكة التى اشتريتها مـــن أجلـــها وانطلقـــت كالسهم صوب مترلها وأنا أتخيل مدى فرحتها حين تـــرى مدى احتفالى بها واحتفائى بيوم مولدها، وأكاد أرى السعادة وهى تخرج من عينيها لقاء ما أعددته لها من مفاجأة .

- البنات يفرحن كثيراً بهذه الأمور ..

هكذا أخبرنى صديق العاشق الذى وضع لى خطة هـــذا اليوم كاملة، وها أنا ذا أتَّبع تعليماته الميمونة بحـــذافيرها، لا أُزيد ولا أُنقص، **بركاتك** يا صديقى !

وصلت إلى مترلها، طرقت الباب برفقٍ، طـــال وقـــوفى، طرقت الباب بقوة، ما من مجيب، اتصلت بها على هاتفهـــا فأتانى صوتها باكياً:

- حبيبى .. لقد توفى جدى .. سأكلمك لاحقاً، وأنهت المكالمة .

رغم حزنى على جدها إلا أننى لا أنكر أن نوبـــة مـــن السعادة اجتاحت قلبى؛ لأننى سألتهم الكعكة وحدى !

الآنسة S

كانت المرة الأولى التى تطلب منى طلباً كهذا، فبعــــد أن حدثت المعجزة وفرغت غرفة المعلمين من سوانا أســـرعت باقتناص الفرصة وتقدَّمت نحوى وقدمت لى مظروفاً ملوناً ..

– ما هذا ؟

– دعوة لحضور حفل زفاف .

– زفاف من ؟

– ابنة عمتى، وكنت أريدك أن تــصحبنى إلى هنـــاك، مازالت وفاة جدى تمنع أمى من الـــذهاب وأبى متـــضامنٌ معها.

– أولاً مبروك لابنة عمتك، ثانياً أنا طوع بنانـــك يـــا مولاتى .. و العاقبة عندنا إن شاء الله .

فتحت الدعوة فلفت انتباهى اسم العروس: الآنسة **S** ..

– لازلت حتى اليوم لا أفهم سر إخفاء اسم العـــروس وكأنه عورة !

– كل الناس يفعلون ذلك .

– أنا لا أعيب على عائلتك، لكننى أعجب من مجتمـــعٍ ينظر لأسماء النساء على أنها سُبَّة، فى حين أن النبى ﷺ نفسه كان يسير مع إحدى زوجاته فرآه اثنان من الصحابة فأسرعا الخطا، فقال: على رسلكما، إنها صفية، لم يقل إنها إحــــدى زوجاتى، ولم يقل إنها أمكما على اعتبار أن نساءه أمهـــات المسلمين، بل ذكر اسمها، أما نحن فنستحى ونغار !

– الرجل الشرقى يغار على أنثاه، ألا تغار ؟

– وهل أغار من بضعة حروفٍ إنمـــا جُعلـــت أصـــلاً لتُعرَف!

– دعك من هذا، سأنتظرك مساءً .

قبل موعدى كنت على بابها، ذهبنا إلى الحفل، ومـــا أن دخلت العروس حتى سقط فكـــى الـــسفلى علـــى الأرض

واتسعت حدقتاى حتى كادت تُسقط مقلتىَّ، وصحت دون وعى:

– الرجل الشرقى يغار على أنثاه ؟! ما هـــذا الفـــستان الفاضح، إنه يكشف أكثر مما يستر !

– واااو .. يا له من فستان !

– أبوها وزوجها يستحيان أن يكشفا غير حرفٍ مـــن اسمها، ولا يستحون من كشف كل حـــروف جـــسدها، ياللعجب، أنخفى الاسم ونكشف الجسم ؟ أى منطقٍ هذا ؟!

– حبيبى، اعذرنى دقيقة .. يجب أن أذهـــب للعـــروس وأستجوبها من أين حصلت على هذا الفستان الرائع لأحصل على مثله !!

لا صوت يعلو فوق صوت الشقة

لا أدرى كيف تبدَّلت الأحوال سريعاً وتيسَّرت الأمور إلى هذا الحد، ارتفع راتبى وزاد دخلى وعثرت على شـــقة إيجار قديم فى أحد الأحياء المتوسطة، وكأن ارتباطى بها فأل خير، انفتحت أبواب الرزق وسبل الخير أمامى بمجـــرد أن ارتبطنا .

ولكن لأن المنحوس منحوس لم تدم سعادتى بـــالفلوس، حيث تفتَّحت فى المقابل أبواب نفقة لا تعد ولا تحصى مـــا بين هدايا ومواسم وأجهزة وأثاث وإعداد لعش الزوجية و.. و .. و ..

لكن والحقيقة تقال كانت هى فى غاية الرقة واللطـــف والقناعة، كانت تستحى أن تطلب شـــيئاً، فقـــط تـــشير بأصبعها: لا يعجبنى هذا، أريد هذا، غيِّر هذا، بدِّل هـــذا،

انزع هذا، ركِّب هذا، تخلَّص من هذا، وبين هذا وهذا فرغ جيبى وذهب مالى !

لكن لنكن منصفين، ماذا يساوى هذا كله أمام السعادة التى أجدها فى القرب منها، لذلك أنتظر يوم زيـــارتى لهـــا بفارغ الصبر، أستعد له قبله بيومين على الأقل، لاتعـــرف عينى النوم ليلته، أستيقظ من الفجر كى أعد نفسى لهذا اليوم المنتظر، أطوى الأرض طيًّا حتى أصل إليهـــا، فأجـــدها فى استقبالى:

- حبيبى .. ما الجديد ؟
- أشواقى تتزايد وقلبى لم يعـــ ...
- ليس هذا ما أقصد .. إنما أعنى الشقة .
- أية شقة ؟!
- شقتنا، هل اشتريت لها شيئاً جديداً؟ أتعرف .. لقد رأيت عند ابنة خالتى أثاثاً رائعاً .. تحفة، سألتها عن المحـــل الذى اشترته منه فوصفته لى، إنه ليس بعيداً إنه بجوار ...

– أترين أن هذا هو الوقت المناسب لمـــا تقـــولين، ألم تشتاقى إلىَّ ؟

ترسم على وجهها نظرة حزينة مفتعلة، وتقول بنبرة يبدو الأداء التمثيلى فيها ركيكاً: أترى أنى لا أشتاق إليك ! يـــا لك من ظالم، وفيم إذن تعجُّلى على انتهاء الشقة والـــزواج منك؟ أليس اشتياقاً لك وللحياة معك إلى الأبـــد، وحـــتى يتحقق هذا علينا أن ننتهى من إعداد شقتنا سريعاً، بالمناسبة لقد رأيت فى أحد المحلات عرضاً على الأجهزة كلها بـــسعرٍ لا يُصدق ... و ... و ... و ...

لسنا أقل من أحد

اتصلت بى يوماً وقالت: ما رأيك لو تزوجنا فى الرابع عشر من فبرابر القادم ؟

– ولماذا هذا اليوم بالتحديد ؟

– إنه عيد الحب، فألٌ حسنٌ أن نتزوج فى عيد الحب، كما أنه اليوم الذى نبتت فيه مشاعرنا .. ألا تذكر ؟

– وهل هذا شيءٌ يُنسى، لكننى أظن أن تحديد يوم الزفاف مرتبطٌ بمواعيد القاعة والاستوديو .

– وهل تظن أنها فاتتنى .. القاعة مستعدة لاستقبالنا فى هذا اليوم، لقد اتصلت بهم للتو وأخبرونى بذلك .

– عن أية قاعة تتحدثين ؟

– تلك التى تزوَّجت فيها ابنة عمى، أتذكرها ؟

– أتحددين كل شيءٍ بمفردك؟ ثم إنها غالية جداً .

– أتريد أن تفسد فرحتى، إنها ليلة العمر .

– لكنى لا أملك تكاليفها .

– دعك من هذا .. البركة فى الجمعيات .

– ولماذا كل هذه التعقيدات ؟!

– أنا لست أقل من ابنة عمتى .

– أظنك طبعاً ستذهبين لنفس الاستوديو الذى ذهبت إليه .

– بالطبع لا، إنه لا يليق بنا، سأذهب للاستوديو والكوافير الذى ذهبت إليهما ابنة خالتى .

– أوه .. ومن أين لى بكل هذه المبالغ الطائلة ؟

– لا شأن لى بهذا .. أنا لست أقل من ابنة خالتى .

بعد كثيرٍ من الكلام وقليلٍ من الدموع استجبت لجميع مطالبها، ووافقت على كل ما قالت، ثم سألتها فى خبثٍ: أخبرينى .. ماذا ستطهين لنا يوم زفافنا ؟

– أطهو! وهل تطهو عروسٌ يوم زفافها ؟!

– لا تحاولى .. ستقومين بالطهى مثلما فعلت زوجة ابن عمى .. وأنا لست أقل من ابن عمى !!

صحتك بالدنيا

بعد مفاوضاتٍ عنيفة مع أبيها استطعت أن أخرج معها، ومن شدة كرم أبيها أعطانى فوقها **بونص**: إخوتها الصغار !

اشتريت لهم كرة كى أتخلص منهم، وبالفعل انـــشغلوا بالكرة، وجلسنا وحدنا على النيل .

– لا أفهم لماذا يعترض أبوكِ على خروجنا لنتنزّه سوياً .

– إنه يغار علىَّ، ويخشى كلام الناس .

– أى ناس ؟! أنا خطيبك، ثم إننـــا نتقابـــل يوميـــاً فى المدرسة.

– المدرسة مكان عمل .

– أريد أن أتكلم معك بحريتنا .

– لا تتعجل، غداً نتزوج وأكون لك وحدك، ولن تغيب عن عينى أبداً، نبدأ يومنا سويًّا، نذهب إلى العمـــل ســـويًا، ونعود ســـ ..

– عمل .. أى عمل ؟

– المدرسة .

– وهل تنوين الاستمرار فى العمل بعد الزواج ؟

– طبعاً .

– ولكن ..

– لا .. لا تحاول، لا يمكنك إقنـــاعى بتـــرك العمـــل والتوقف عن أداء رسالتى .

– كما تشائين يا حبيبتى .. استمرى فى عملك ولنؤجل الحمل حتى تنتهى من تأدية رسالتك .

– نؤجل الحمل! وما علاقة هذه بتلك ؟

– ما العلاقة! ألا تعلمين أن المرأة العاملة تتعرض لمتاعب كبيرة أثناء أشهر الحمل، وتكون ولادها أصعب كثيراً مـــن ربة المترل، كما أها معرضة بشدة لفقد طفلها لا قـــدَّر الله، وإذا لم يحدث هذا فإن عمل المرأة يؤثر على صحة الطفـــل بالسلب، وأنا لا أرضى لك أو لطفلنا المتاعب، فلا ضير من التأجيل .

– لكننى أعرف الكثير من النساء العـــاملات اللاتـــى أنجبـــ..

– هذه استثناءات، وأنا لا أريد أبداً أن أخاطر بـــكِ أو بطفلنا .

– حسناً إذن .. سأترك العمل بعد الزواج .

– كيف هذا .. ورسالتك ؟

– لقد أديتها بما فيه الكفاية .. المهم صحة البيبى .

ابتسمت ابتسامة خبيثة وأنا أقول:

وصحتك طبعاً يا حياتى !

ليلة النصف من فبراير

لم يخطر ببالى إطلاقاً أن يوم زفافى سيمضى على هـــذا النحو ..

استيقظت من نومى على رائحة احتـــراق شـــىءٍ مـــا، انتفضت من فراشى مفزوعاً أسير على هدى أنفى خلـــف رائحة الحريق، كانت أمى تقف فى النافذة تتحدث فى الهاتف تاركةً خلفها المكواة تأكل قميصاً أبيض أُشَبِّهُ عليه، أظـــننى أعرف ما تبقى من ملامحه، دققت النظر فى بقايا القميص غير مصدِّقٍ، وأنا أصرخ فى لوعة: قميص زفافى احتـــرق، يـــا حسرتى، لقد استغرقت رحلة البحث عن هـــذه القمـــيص شهراً كاملاً، كل هذا وأمى لا تزال تتحدث فى الهاتف !

لم يكن ثمة حلٌّ آخر، اتصلت بأبى **مضطراً** ليشترى لى قميصاً، ولم يخيِّب أبى ظنى، لقد اشترى قميصاً واسعاً، ولمـــا أخبرته قال بهدوئه المعتاد: إن لم يناسبك قياسه اتركه لى !

أخذته على مضضٍ بعدما انقطعت بى السبل، وأخـــذت أقول لنفسى: لا بأس، لن يظهر تحت البدلة، لاتدع شـــيئاً يعكر صفوك الليلة.

نظرت إلى الساعة فوجدت موعد الحلاق قـــد فـــات، اتصلت به فأجابنى باكياً يخبرنى أن والدته قد ماتت، قدمت له واجب العزاء ثم سألته فى برودٍ: هل ســـتتأخر علـــىَّ، لا أدرى لماذا أغلق الهاتف فى وجهى، وقلت فى نفـــسى لعـــل تغطية الشبكة سيئة، ثم حانت منى التفاتة إلى المرآة فوليـــت منها فراراً ومُلئت منها رعباً، وأدركت حجم المصيبة، أيـــن سأجد حلاقاً يصلح هذا الرأس الأشعث الأغبر الآن .

على الفور ارتديت ما وجدته أمـــامى مـــن ملابـــس وهرولت بحثاً عن حلاق، صُعقت حين علمت أن اليوم هو الإثنين، بحثت فى كل مكان، لم أترك شارعاً مـــن شـــوارع المحروسة .. لكن هيهات .

عدت بخطا متثاقلة إلى البيت وقد توقف رأســـى عـــن التفكير .

كان أبى يتوقع أن أعود كما نزلـــت؛ لـــذلك كـــان مستعدًّا.. أحضر مقصات وأمشاط البيت وتطوَّع للقيام بهذه المهمة !

كنت أعلم أن بقائى على حالى أفضل كثيراً من حـــلِّ أبى.. لكن ما باليد حيلة .

بعد أن انتهى أبى نظر إلى رأسى مليًّا ثم قال: ما رأيك لو ترتدى قبعة فى حفل زفافك !

اتصلت بأصدقائى وأنا محاطٌ بهالةٍ من الغضب لأعـــنِّفَهم على تأخُّرهم، فأخبرونى أنهم فى الطريق المتوقـــف بـــسبب الزحام الشديد، وقد توقف الطريق بلا حراكٍ، ولن يتمكنوا من الحضور إلى البيت إطلاقاً إذا استمر الأمر علـــى هـــذا النحو، بيد أنهم سيكونون أول الحاضرين فى قاعة الزفاف إن شاء الله .

ارتميت على سريرى وأغمضت عينى وأنا أقنع نفسى أن هذا حلمٌ، بل كابوسٌ وسينتهى حتماً فى وقتٍ ما .

لم أكن أصدق كل هذه الضربات المتلاحقة التى تتهاوى على رأسى، كيف سأرتدى ملابس الزفاف وحدى، ومـــن سيساعدنى فى إصلاح رأسى الذى أفسده أبى، ألا يكفـــى غياب الحلاق حتى يغيب الأصدقاء أيضاً، حمدت الله أن أبى كان مشغولاً حتى لا يتطوع لمهمة مـــساعدتى فى ارتـــداء ملابسى !

لم أجد سوى أختى التى لم يكـــن لـــديها وقـــتٌ لى، اضطررت إلى الذهاب إليها فى الكوافير لتربط لى الكرافت !

انتهيت من ارتداء ملابسى ونظرت فى المرآة ولا أكـــاد أعرفنى بين هذه الملابس الرثة وهذا الرأس الذى لا أجد لـــه وصفاً مناسباً .

كانت زغاريد أمى تستحثنى على الإسراع حتى لا نتأخر على العروس فى الكوافير .

شددنا الرحال إلى الكوافير أخيراً، وبمجرد أن وصلنا إلى هناك وجدنا المنطقة بالكامل تغـــط فى هـــدوءٍ عميـــق، إذ

انقطعت عنها الكهرباء بالكامل، وبالطبع كـــان الكـــوافير غارقاً فى ظلامٍ دامس لا يرى أحدٌ فيه موضع قدمه .

كانت عاملات الكوافير يصففن لها شعرها على أضواء الشموع، ولا يدرين أوضعن لها الأحمر أم الأخضر، وهـــل لوَّنوا كل أظافرها أم أغفلوا بعضها !

بدأت الزغاريد تنطلق من أفواه عاملات الكوافير إعلاناً منهن أنهن قد أنجزن عملـــهن، وإشـــارةً لى بـــأن أدخـــل لأصطحب العروس إلى السيارة، فأخطأت مـــرتين بفعـــل الظلام واصطحبت غيرها، لكن الله هدانى فى المـــرة الثالثـــة ونجحت فى اصطحابها هى !

ركبنا السيارة وانطلقنا إلى الاستوديو، ولك أن تتخيـــل مشاعرى إن علمت أن من كان يقود السيارة هو أبى !

خرجنا من المنطقة المظلمة إلى المنطقة المضيئة، وليتنا مـــا فعلنا ..

كمياتٌ هائلةٌ من مساحيق التجميـــل تـــزيِّن فـــستانها الأبيض، أما عن وجهها فحدِّث ولا حرج !

المهم .. مضينا فى طريقنا نحو الاستوديو، وهناك حدث ما لم نكن نتوقعه، وكأن لنا نصيباً فى الفرحة فى هذا اليـــوم بعدما نلنا نصيبنا كاملاً من اللعنات التى توالت على رءوسنا منذ أشرقت شمس الفالانتين .

كان الاستوديو فى طريق إحدى المظاهرات الـــسلمية، ولك أن تتخيل شكله الآن، تحطمت الواجهة تماماً، وتنـــاثر الزجاج على طول الطريق المغطَّى بالصور والبوسترات الـــتى كانت تملأ الواجهة .

وفوق كل هذا أُصيب المصور إصابة بالغة وتم نقلـــه إلى المستشفى، وإضافةً إلى ذلك طالبتنا الشرطة أن نغير مسلكنا ونتخذ طريقاً آخر لأن هذا الطريق سيتم إغلاقه الآن .

لا تتخيل مدى فرحتنا إذ نجونا من تخليد صورنا ونحـــن على هذه الهيئة !

انطلقنا من جديد فى اتجاه القاعة، وقبل أن نصل بعـــدة كيلومترات فوجئنا باعتصامٍ يغلق الطريق والطرق المجاورة !

وعليه فقد اضطررنا للسير على أقدامنا كل هذه المسافة حتى وصلنا إلى القاعة وأنا أقول لها: فألٌ حسنٌ أن نتزوج فى عيد الحب .. أليس كذلك ؟!

المهم .. انتهى حفل الزفاف بعد عدة خلافات بين أهلى وأهلها على أماكن الجلوس، ونصيب كـــل معـــسكر مـــن البوفيه، وكانت كلها خلافات بسيطة، أسفرت عن سقوط ثلاثة قتلى وخمسين مصاباً بالإضافة إلى أربعة مفقودين !

ومجدداً انطلقنا بالسيارة، ولكن نحو عش الزوجية هـــذه المرة، بعدما قمنا بإلغاء باقى البرنامج الذى كان يشتمل على نزهة نيلية وعشاء فى مطعم فاخر، واكتفينا تماماً بكـــل مـــا كان .

وصلنا إلى جنتنا الصغيرة وسط زغاريد الأهل ومباركات الأقارب وتهنئة الأصدقاء وترحيب الجيران الجـــدد، وأمـــام الباب مباشرةً اكتشفنا أن كلاً منا قد اعتمد على الآخـــر فى إحضار المفتاح !

جلسنا على السلم بعدما انفض المولد ننتظر أبى الـــذى ذهب إلى المترل ليحضر لنا نسخة منه ..

وما أن فتحنا حتى سقطت زوجتى مغشياً عليها ..

يبدو أن أحداً ما نسى صنبوراً ما مفتوحاً !!

مادة رقم 1

- كاد شهر العسل أن ينقضى .

- سيكون عمرنا كله عسل .

- طبعاً يا حبيبى .. ولضمان ذلك لابد من لائحة !

- لائحة عسل ؟!

- لائحة تنظم الأمور بيننا .

- لا أفهم، ولا أريد .. كل ما أريده هو قبلة من هاتين الشفتــــ ..

- دعنا نتحدث بجدية .. أنا لا أمزح .

اعتدلت فى جلستى وقطَّبت جبينى وعقدت حاجبىَّ حتى أبدو جادًّا، لكننى ما لبثت أن دخلت فى نوبة ضحك ..

- أرجوك كن جاداً ولو قليلاً .

توقفت عن الضحك واصطنعت الجدية ثانيةً ..

- أكملى يا عزيزتى .. أكملى .

- أرى أن الحياة المنظمة لا تكون عرضة للفشل بقـــدر الحياة العشوائية، وتكون قابليتها للاســـتمرار وفرصـــها فى النجاح أكبر .

- تمام .. تمام !

- اتفقنا أن تتحلى بالجدية .. المهم، كنت أقتـــرح أن نقسِّم الاختصاصات فيما بيننا، كلٌّ يتخذ القرارات اللازمة مادامت فى محيط اختصاصاته ..

- ما هذا الكلام الكبير ..

لم تأبه لتعليقى و لم تلتفت إليه و كأننى ما قلته، واستأنفت حديثها بمنتهى الجدية:

- وعليه فأنا أرى أن تكون أنت مسئولاً عن القرارات الكبيرة، بينما تكون القرارات الصغيرة ضمن صلاحياتى .

- تتمتعين بقدرٍ كبيرٍ من إنكار الذات .

- أتعنى بذلك موافقتك على الفكرة ؟

- طبعاً ودون مناقشة .. هلا نكمل شهر العسل الـــذى كاد ينقضى!

وافقت حينها و لم أكن أعلم أن نوع عملـــى ومكانـــه وبقاءنا فى هذا المترل أو انتقالنا إلى مترلٍ آخـــر، وتوقيـــت الإنجاب واسم المولود ونوع الدراسة التى يتلقاها، وزياراتنـــا لأهلينا، و.. و.. و .. أقول كل هذا يندرج تحت ما أسمتـــه بالقرارات الصغيرة ..

أما القرارات الكبيرة فكانت كالاعتراف بالصين عضواً دائماً فى الأمم المتحدة مثلاً !

النصيحة

كنت كلما دخلت البيت عائداً مــن عملــى أجــدها نائمة.. فى أى مكان، تستلقى على السرير، على الأريكــة، حتى على الأرض .

أنظر حولى فأجد الملابس مبعثرة فى كل مكان تنتظر أن تتكرم الهانم وتجمعها لتغسلها، أكوام التراب تكسو الأثـــاث والزجاج والمرايا منذ زمن، الفراش لم يُرتَّب لأيامٍ طويلــة، الحمام يبدو كحمامٍ عام أو أسوأ حالاً، أما عــن المطــبخ فحدِّث ولا حرج، حتى البُسط .. صارت حدائق ترتع فيها الحشرات دون مضايقة من زوجتى العزيزة، باختصار صــرنا نعيش فى كهفٍ لا تزاور عنه الــشمس ذات الــيمين ولا تقرضه ذات الشمال !

أكلمها فلا أجد استجابة، أتحدث إليها وكأننى أتحــدث إلى خُشُبٍ مُسَنَّدة، لا حياة لمن تنادى، حتى الطعام .. تتصل

بى يومياً لأشترى طعاماً جاهزاً مـــن أى مطعـــم، لم أعـــد أحتمل، ضاقت علىَّ الأرض بما رحبت، وهى لا تجيد سوى الاعتناء بأظافرها .. والحق يُقال .. هى بطلة العالم فى تقليم الأظافر !

لا تطهو ولا تغسل ولا تنظف، حتى زجاجـــات الميـــاه ملقاة فى الأرجاء فارغة، وهى لا تكلف نفسها عناء ملئهـــا ووضعها فى الثلاجة .

تنتظر حتى تأتى أمها لتقوم بعمل البيت بدلاً منها، وتعد طعاماً يكفى لعدة أيامٍ وتُخزِّنهُ بالثلاجة !

أشار علىَّ أحد أصدقائى الخبثاء بنصيحة كان لها مفعول السحر، كانت بمثابة نقطة تحول فى حياتى الزوجية بأسرها..

قال لى: لا يفلُّ النساء إلا النساء، واضرب بـــالمرأة تستقم !

عدت إلى المترل يومها أردد كلماته فى نفـــسى وأعـــدُّ الخطة ..

قلت لها: أعباء المترل كثيرة جداً عليكِ .

- آه .. لا تُذكِّرنى !

- أتساءل كيف تتحملينها كلها وحدك ؟!

- وليتك تُقَدِّر .

- أبشرى .. سأحضر لكِ من يساعدك عليها .

- معقول؟ هل تحضر لى خادمة ؟!

- بل .. زوجة ثانية !

كان البيت أشبه بالجنة، كل شىءٍ فى موضعه، كل شىءٍ مرتَّب ومنظم .. وفى أقل من ساعة واحدة !

ست بيت

كان يوماً شاقًّا، كنت عائداً من العمل أتضور من الجوع وأنتظر بفارغ الصبر تلك اللحظة التى أملأ فيهـــا معـــدتى الخاوية .

بمجرد أن دخلت من باب البيت رحت أتساءل: مـــاذا أعددتِ لنا اليوم للغداء .. أنا أتضور جوعاً .

– لدىَّ خبرٌ جيد وخبرٌ سيئ، بمَ أبدأ ؟

– بالجيد طبعاً .

– لقد أعددت لك طاجن خضار باللحم بالإضـــافة إلى الأرز المعمر الذى تحبه .

– الله .. لقد زدتينى جوعاً إلى جوعى، هل المائدة مُعدَّة؟

– ألا تريد أن تعرف الخبر السيئ ؟

– أجِّليه لما بعد الطعام .

– لا يمكن .

– قولى .. ولكن سريعاً فمعدتى لا تحتمل الانتظار .

– حسناً .. لقد تأخرت خمس دقائق عن إطفاء الفرن .

– ثم ماذا ؟

– احترق الطعام ..

– كله ؟

– كانت خمس دقائق لا أكثر .

هدَّأت نفسى وقلت لها: لا عليكِ، سأبدِّل ملابسى ونذهب لتناول الغداء فى أى مطعم، وبمجرد أن فتحت خزانة الملابس صرخت: ملاااااابسى !

علمت فيما بعد أن هذه الصرخة أيقظت الحى بأكمله، كان منظراً مروعاً، يستعصى على الوصف، أهذه ملابسى الجديدة التى لم ألبس معظمها !

كانت تجلس فى هدوءٍ تقلم أظافرها كالعادة حين صرخت فيها: ماذا جرى لملابسى؟

– لا شىء يا حبيبى .. لقد غسلتها لك .

– وكيف صارت ألوانها هكذا ؟

- أمممم .. لم أكن أعرف أنه يجب فصل الأبيض عـــن الألوان !

- هل أفسدتِ كل ملابسنا ؟

- وهل تحسبنى غبية إلى هذا الحـــد .. لقـــد غـــسلت ملابسك أنت فقط !

درس خصوصى

– حبيبتى .. أين القميص الأسود ؟

– هل تنوى الخروج ؟

– ألم أخبرك .. لقد اتفقت معى إحدى الطالبـــات فى المدرسة أن أعطيها درساً فى مترلها .

– ما شاء الله .. أترى كيف تتفتح لك أبواب الـــرزق بعد زواجك منى .

– أنتِ دوماً فأل خيرٍ يا حبيبتى .

– لم تخبرنى من هذه الطالبة ؟

– إنها غادة .. أنتِ تعرفينها .

– غادة .. من الصف الثانى الإعدادى ؟

– كان هذا فى العام الماضى .. إنهـــا الآن فى الـــصف الثالث .

– لن تذهب لها .

– ماذا ؟

– قلت لن تذهب لها، إنها سـيئة الـسمعة، فاسـدة الأخلاق.

– ماذا تقولين، إنها طفلة، أتغارين من طفلة ؟

– لا تقل طفلة، لقد رسبت أربع مراتٍ من قبل، إن من فى سنها الآن فى الكلية، ثم ألم ترَ ملابسها المثيرة فى المدرسة، فما بالك فى بيتها، لا لا .. مستحيل أن تذهب إلى هناك .. مستحيل .

– لعل صلاحها يكون على يدىَّ .

– بل إن فسادك سيكون على يديها .

– ألهذا الحد تخافينها ؟

– بل وأكثر، إنها سبب طلاق نصف مدرسى المدرسة.. لن تذهب، ولا مناقشة فى هذا الأمر .

– وأين كلامك عن أبواب الرزق التى يفتحها لنـا الله، أنغلقها بأيدينا ؟

– إنه ليس باباً للرزق، إنه بابٌ من أبواب جهنم .

لم أقتنع بما تقول، ظننتها تبالغ فى تقديرها للأمـــور، وفى غفلةٍ منها تسللت خارج المترل متوجهاً إلى بيت غادة ..

لم يمضِ على غيابى عن المترل سوى ساعة، عدت بعدها مشدوهاً، ارتميت على السرير بلا حراكٍ أسدد نظراتـــى إلى الفراغ، تكلمنى فلا أجيب، تستنطقنى فلا أنطـــق، وبعـــد محاولات مضنية قلت فى ذهول:

- لقد قررت أن أتنحى عن مهنة التدريس نهائياً !

فأر

- عااااااا ..

انتفضت من النوم مفزوعاً على صرختها التى اهتزت لها جدران الشقة ..

- من مات ؟

- فاااااااار .

- أين هو ؟

- لا أعلم، لقد استيقظت على صوت حركة، ورأيته يجرى فى هذا الاتجاه، قم وابحث عنه واقتله .

كانت منكمشة على نفسها، تتمسك بذراعى بكامل قوتها أو قل بكامل ضعفها، وجسدها المرتعد المرتعش ملتصقٌ بجسدى، لا أستطيع أن أخفى شماتتى؛ فهى المرة الأولى التى أرى فيها كل هذا الذعر بادياً عليها .

- أكل هذا الخوف من فأر .. مجرد فأر ؟

- خــــ .. خوف .. لا .. أنا لست خائفة، لكنه كائنٌ مثيرٌ للاشمئزاز، المهم .. خلصنا منه حالاً .

- لكننى لا أرى له أثراً .

- ليست مشكلتى .. ابحث عنه .

- دعينا ننام الآن، والصبــــ ..

- مستحيل، كيف ننام وهذا الكائن يعيــــش فى بيتنــــا ويهدد أمننا ..

- يهدد أمننا ؟! هل هو فأرٌ إسرائيلى ؟!

- لن أنام وهذا الكائن حر طليق فى بيتى .

اتخذنا مواقعنا فجلست أنا على باب الغرفة وفى يــــدى عصا المكنسة، بينما اتخذت هى موقعاً استرتيجياً بأن وضعت كرسيًّا فوق السرير وجلست فوقه لتكون فى مأمنٍ من أيــــة هجمة غادرة من هذا الفــــأر الغاشــــم، وقــــد تــــسلَّحت بالشبشب!

طال انتظارنا ولم يظهر هذا الضيف الثقيل، حتى إنــــى بدأت أشك فى صحة روايتها، أو ربما أنها كانــــت تحلــــم،

قررت اتخاذ موقفاً إيجابياً حيال هذه الـــشكوك المتزايـــدة، فنهضت أبحث عن الفأر بنفسى، وبعد قليلٍ من التفتيش عن سعادته وجدته ..

– أبشرى يا حبيبتى .. لقد وجدت الفأر ميتاً بجوار أحد أحذيتك، يبدو أن المسكين لم يتحمل عبير قدميكِ !

فى بيتنا نووى

– كان يوماً رائعاً .. عساه يتكرر قريباً .. احرصوا على سلامتكم.. صاحبتكم السلامة .

أغلقت الباب بعد أن ودَّعت أبي وأمى بعـــدما انتـــهت مراسم **العزومة** الأولى بعد الزواج ..

وما أن أغلقت الباب حتى انفتحت فى بكاءٍ لا ينتهى ..

– ماذا بكِ ؟ ما جرى ؟

– ألم ترَ ماذا جرى ؟

– هل حدث ما يسوءك ؟

– إنها ليست مجرد زيارة عائلية .. لقد كانـــت أشـــبه بزيارة من الوكالة الذرية، كانت أمك كمن يفـــتش عـــن **نووى** فى بيتى !

– لا أفهم .. عما تتحدثين ؟

- ألم ترها .. تجول فى كل مكانٍ تبحث عن خطأٍ تثبت به فشلى كربة مترل ..

هذه الساعة يعلوها التراب، هذا البرواز مائل قليلاً، هذا اللون لا يناسب ذاك، وحين وقفت أمام خزانــــة الملابـــس، نظرت إليها باشمئزاز ثم قالـــت فى تعـــالٍ: أوه، يومـــاً مـــا سأعلمك كيف ترتبين الخزانة !

- أرأيتِ .. إنها تحرص على مساعدتك، ليس أكثر .

- هذا كله فى كفة والطعام فى كفة أخرى .. كانـــت تقف على رأسى، ضعى هذا قبل هذا، قللى مقـــدار هـــذا، أضيفى القليل من هذا، لا داعى لإضافة هذا، وبعد كل هذا وهذا لم يعجبها الطعام ..

الأرز رائع لكنه كان بحاجة إلى تهدئة النار، والبطـــاطس ممتازة لكنكِ تعجَّلتِ إخراجها من الفرن، أما الدجاج فكان شهيًّا غير أن بعض أجزائه لم تنضج بعد ..

- إنها تصقلك بخبراتها ومهاراتها ..

لا يبدو لى على الإطلاق أنها كانت تسمعنى، أو حتى تشعر بوجودى، استأنفت حديثها دون توقف، كانت تتحدث بجسدها كله:

– حتى الماء .. حتى الماء لم يسلم من ملاحظاتها، لو كان الماء أبرد لكان أفضل، ولو أضفتِ إليه ماء الورد لكان أجمل..

بعد تفكيرٍ سريعٍ قررت أن أنسحب فى هدوءٍ إلى فراشى دون أن تشعر، وبالفعل نمت قرير العين حتى إذا لاح الصباح اسيقظت من نومى فلم أجدها إلى جوارى، كانت لاتزال جالسةً فى المكان نفسه، تردد الكلام ذاته ..

يبدو أنها لن تتعافى من آثار العزومة سريعاً ..

مسكينة !

شموخ

دخلت علىَّ يوماً وأنا أشاهد التلفاز فوضعت إحـــدى يديها فى وسطها واستندت بالأخرى إلى الحائط، ثم ســـألتنى منفعلة: من ريهام ؟

فتساءلت بدورى: من ريهام ؟

– أنا من يسأل .

– وأنا لا أفهم .. عمن تتحدثين ؟

– ريهام .. رورو .. صديقتك على الفيس بوك، معجبة بكل تدويناتك، بل وتحرص على التعليق عليها جميعاً .

– عادى .. صديقة كباقى الصديقات .

– يجب أن تحذفهم جميعاً .

– ماذا ؟

– كما سمعت .. ستحذفهم جميعاً .

– ولكن ..

– قلت ستحذفهم ..

– دعينا نتناقش .

– كلمة واحدة ولـــن أثنِّيهـــا .. ســـتحذف جميـــع الصديقات.

انفعلت بشدة وثارت ثائرتى وانتفضت مـــن مجلـــسى وصرخت فى وجهها:

– ماذا تقولين؟ كلمة واحدة ولن تثنِّيها ! مـــن تظـــنين نفسك، لا تكلمينى بهذه الصيغة ثانيةً، واحرصى على انتقاء كلماتك، واحذرى أن يعلو صوتك علـــى صـــوتى مـــرة أخرى.. هل تفهمين .. ودعينى أخبرك شيئاً .. لن أحـــذف أحداً من قائمة أصدقائى لأن الهانم تريد ذلك، انسى هـــذا الأمر تماماً .. تماماً .

لم تمضِ إلا دقائق قليلة وكانـــت تجلـــس إلى جـــوارى كالجارية، ولا تنطق بحرفٍ واحد، تكتفى فقط بأن تشير إلى الاسم الذى تريد حذفه من قائمة أصدقائى، وأنا أقوم بمسح من تشير إليه بكل شموخٍ وكبرياء واعتزاز !

المباراة

بدأت المباراة وبدأت أتابعها بكل حماسٍ وشغف، أتفاعل معها وكأننى فى أرض الملعب، تتحرك كل حواسى بلا وعيٍ منى، أقفز مع كل كرةٍ لنا أو علينا، هذا هـــو حـــالى مـــع مباريات الأهلى والزمالك .

كانت الهجمة فى أوجها حين قامت هادمة اللذات بتغيير المحطة وقالت فى برودٍ وهى تجلس واضعةً ساقٍ على ساق:

- عفواً .. إنه موعد المسلسل التركى .

كدت أنفجر غيظاً، لكننى حاوت كظم غضبى وقلت:

- لكننى أشاهد المباراة .

قالت فى البرود ذاته ودون أن تحوِّل عينيها عن التلفاز:

- أنت تشاهد الاستوديو التحليلى منذ ما يربـــو علـــى الثلاث ساعات و لم أنبس ببنت شفة، ألا يكفيك هذا ؟

– يا سلام! أشاهد الاستوديو التحليلى لمدة ثلاث ساعات ثم لا أشاهد المباراة بعد ذلك .. أى منطقٍ هذا ؟!

– هذا ليس من شأنى، إنه موعد المسلسل .

انتزعت **الريموت كنترول** من يدها مستعيداً المباراة مرة أخرى ..

– سأشاهد المباراة .. يمكنك متابعة المسلسل فى الإعادة.

– الإعادة فى الثانية ظهراً .. سأكون نائمة !

– أنا أستيقظ فجراً، وأنت تنامين لما بعد الثانية ظهراً !

– ألا تمل من مشاهدة المباريات ؟

– سلى نفسك .. ألا تملين من تلك المسلسلات التافهة؟

– تافهة ؟! إنها مسلسلات هادفة لها أبعاد كثيرة، قل لى أنت ما الفائدة من الكرة ؟

– دعينى أتابع المباراة، أجلِّى مناقشاتك الفلسفية إلى وقتٍ آخر، لا تفسدى علىَّ المشاهدة .

– لن أتنازل عن المسلسل .

ولما لم تجد جدوى من لغة الحوار، قررت الاعتصام أمام التلفاز، فوقفت بينى وبينه لتحجب عنى الرؤية، فضلاً عـــن قيامها بالغناء بصوتها المزعج حتى لا أسمع شيئاً، فلـــم أجـــد بديلاً عن التصدى لهذا الاعتصام وذلك الشغب الذى تفتعله دون أى وجه حق، و لم يكن هناك مفرٌ من الاشتباك، لكننى حملت على عاتقى مسئولية الالتزام بأقصى درجات ضـــبط النفس ..

وفشلت كل المساعى فى وقف الاشتباكات التى لم ينجح فى إيقافها سوى .. انقطاع التيار الكهربى .. فلا مسلـــسل ولا مباراة !

باشميل

كانت راضية عنى بلا سبب، ونادراً ما تكون، قالت فى لحظة رضا سيسجلها لها التاريخ:

- اليوم سأمنحك حق تقرير الغداء، اختر ما شئت من صنوف الطعام، وأنا سأطهوها لك، عليك الاختيار وعلىَّ الإعداد .

فى بداية الأمر ظننتها تمازحنى، و لم أصدق إلا بعدما أقسمت لى؛ ذلك لأن قراراً سياديًّا كهذا ليس متاحاً لعامة الشعب أمثالى، ترددت كثيراً وفكرت كثيراً، ففرصة كتلك لا تتكرر أبداً، وعلىَّ أن أستغلها الاستغلال الأمثل، أغمضت عينىَّ فتراءت لى صينية المكرونة بالباشميل حتى كأننى أشم رائحتها، فهتفت بلا وعىٍ:

- مكرونة باشميل .

ارتبكت قليلاً وقالت:

– إحم .. باشميل .. ياه، مر على طهوى لها زمنٌ بعيد، حتى إننى نسيت المقادير، اطلب شيئاً آخر .

– لدينا كتاب أبلة نظيرة فى مكتبتنا، أنسيتِ ؟

– إن لغته صعبة وحروفه صغيرة، كما أننى لا أذكر أين وضعته .

– لا عدمنا **جوجل**، سأبحث لكِ عن المقـــادير علـــى الإنترنت .

– دعها ليومٍ آخر واختر اليوم ما شئت دونها .

– مستحيل .. اليوم باشميل .

خلال دقيقة واحدة كنت قد أحضرت لهـــا الطريقـــة، فتعللت بعدم وجود بيض، فنزلت لأجل البيض، فأخبرتنى أن اللبن قد نفد ولم تكن تعلم، فنزلت من أجل اللبن هذه المرة، ولما أحضرته أخبرتنى أنها اكتشفت أننا ليس لدينا دقيق..

كان مركز العناد فى مخى الصغير يعمل بكفـــاءة عاليـــة وقتها، فنزلت إلى المتجر وطلبت من البائعة كـــل مقـــادير الباشميل لعشرة أفراد، حتى لا تتعلل بشىءٍ بعد ذلك .

مرت ساعات وهى تجاهد وسط المقادير فى المطبخ وأمام الفرن لتنتج لنا أول صينية مكرونة باشميل صناعة محلية .

أخيراً خرجت الصينية من الفرن وتوسطت المائدة ..

أطلت النظر إلى ذلك الكائن الهلامى الأسود الذى يلهو فى الصينية لعلى أتعرف على ماهيته، فقطعت تأملاتى وهى تشير إلى الصينية بسكينٍ كان فى يدها:

هذا هو الباشميل الذى طلبته، لا أريد قطعة صغيرة تتبقى فى الصينية، أما أنا فسأطلب لنفسى **دليفرى** !

هجوم فضائى

– من نقل هذه الطاولة من مكانها ؟

– لا أعلم، لقد كانت فى هذا الموضع منـــذ دخلـــت الغرفة.

أعادتها إلى موضعها مجدداً وهى تتمتم ببعض الكلامات غير المفهومة، وهذه عادتها، تؤمن أن هذه الأغراض المقدسة إذا تحركت من مواضعها الأبدية المنصوص عليهـــا ســـتحل علينا اللعنات !

وعليه فإن تحريك أية قطعة أثاث من موضعها بغـــير إذنٍ كتابيٍّ من فخامتها شخصياً وبعد مشاروات قد تدوم شهوراً وبعد تفكيرٍ عميقٍ ربما نتج عنه فى النهاية رفضٌ قطعىٌّ غـــير قابل للاستئناف، أقول إن تحريك أية قطعة أثاث يعد انتهاكاً صارخاً لحقوقها الدستورية وجريمة لا تغتفر فى حق الإنسانية جمعاء !

خرجت مرة أخرى من المطبخ وفى يدها سكين، فحانت منها التفاتة رأت من خلالها الطاولة وقد تغير موضعها مجدداً فصرخت فىَّ:

- أظنك لا تعلم هذه المرة أيضاً من الذى نقل الطاولة .

- بلى أعلم، لكنك لن تصدقينى .. لقد نزلت كائنات فضائية .. نعم كائنات فضائية خضراء لهم أربع عيـــونٍ فى رءوسهم المربعة، قاموا بتحريك الطاولة عن طريـــق أشـــعة خارقة من عيونهم، ونقلوها إلى حيث هى، وطلبوا مـــنى ألا أخبرك، ثم صعدوا إلى كوكبهم فى سلام !

أظننى هذه المرة استطعت تفسير همهماتها، كانت تقـــول وهى تضرب كفًّا بكف:

- رحم الله عقلك !

أعادت الطاولة إلى موضعها الأول من جديد، ثم قالت:

- حبيبى .. إن كنت تحب أن تضع قدميك على الطاولة كى تتمدد فادخل إلى فراشك وتمدد كيف تشاء، علـــى أن تتولى إعادة ترتيب الفراش بعد ذلك ..

ثم دنت منى وقالت بصوتٍ هامس وهى تلوِّح بالسكين الذى تحمله وتجول بعينيها فى الغرفة بشكل مريب:

– من فضلك .. أخبر أصدقاءك الفضائيين فى المرة المقبلة ألا يعبثوا بأثاث منزلى .. وإلا سأطردهم خارج المجرة نهائياً !

معركة ذات المشابك

ما أن فتحت باب الشقة حتى وجدتها تصرخ فىَّ وهـــى تضع يديها فى وسطها: لا تدخل حتى ترد لى حقى .

رميت كتبى وأوراقى أرضاً وســألتها فى فـــزع: مـــاذا حدث؟ هل أساء إليكِ أحد ؟

أجابت فى ثورة: الست هانم جارتنا، لقد فعلت وفعلت، ولن أرضى حتى تردَّ إلىَّ حقى .

نزلت إلى جارتنا كالثور الهائج أدق بابهـــا فى عنـــفٍ، ففتحت مذعورة، ولما رأتنى قالت: الحمد لله أنـــك جئـــت بنفسك، أيرضيك ما فعلته فىَّ زوجتك ؟

قلت منفعلاً: أنتِ المخطئة وتلقين باللوم عليها !

- ومن أخبرك أنى المخطئة ؟

- هى .

- وهل قصَّت عليك ما جرى ؟

- لا .

- وحكمت أنى المخطئة ؟! هل تسمح أن أريك شيئاً .

دخلت معها شقتها فعرضت عليَّ ملابس كثيرة متسخة.

- انظر .

- ماهذا ؟

- غسيلى، سكبت عليه زوجتك زجاجة كاملة من الشربات .

- مستحيل .

- انظر بنفسك، ولما سألتها قالت لقد سقط الكوب منى دون قصدٍ، أستحلفك بالله، هل سقوط كوب دون قصدٍ يفعل هذا بالغسيل كله، ولا يستثنى شراباً حتى !

ليس هذا فحسب، عندما عاتبتها أهانتنى إهانات لا توصف، ووجهَّت إلى سيلاً من السباب والشتائم .. أيرضيك هذا .

اعتذرت لها عما بدر منى ومن زوجتى ووعدها بأن أرد لها حقها، وعدت إلى زوجتى أحاول إقناعها بخطئها ودفعها

للاعتذار لجارتنا، لكن زوجتي أخذهّا العزة بالإثم وتعالــت عن ذلك علواً كبيراً .

انتظرت عدة أيام حتى امتلأت حبالنا بالغسيل فقمت بلم ثيابي خلسة وتركت ثياها هي ..

لم تمضِ دقائق حتى سمعت صرختها :

الغسيـــــــــــــل !

قل ببرودٍ: أعتذر .. لكن كوب الشربات ســقط مــني دون قصدٍ!

نصف النهائى

كنت منهمكاً للغاية حتى إننى لم أسمع نـــداءاتها الـــتى لم تنقطع، أو هذا ما ادَّعيته حين وجدتها واقفة على أم رأســـى ساخطةً علىَّ:

– ألا تسمعنى كل هذا ؟

– وهل كنتِ تنادينى ؟!

– تظاهر أنك لم تسمع .

– عذراً .. فأنا مشغولٌ للغاية .

– وفيم انشغالك ؟ فى **البلايستيشن** ؟! ألا تخجل من نفسك ؟

– وفيم الخجل، هل تحرِّمين الترويح عن النفس ؟

– أنت تروِّح عن نفسك طوال اليوم !

– وماذا تريدين منى ؟

– أن تجلس معى .

– لنشاهد الحلقة الخمسمائة بعد الألـــف مـــن ذلـــك المسلسل التركى اللعين الذى لا ينتهى أبداً .. أليس كذلك ؟

– لعلك تتعلم منه بعض الرومانسية .

– يكفى ما تتعلمينه أنت !

– ماذا تقصد ؟

– أرجوكِ .. دعينى أكمل البطولة، لقد وصلت للـــدور نصف النهائى، ولا أريد أن أفقد تركيزى .

– البقاءِ لله فى عقلك !

– هل قلتِ شيئاً ؟

– أبداً .

– إذن دعينى لمتعتى الوحيدة فى هذا البيت .. ممكن ؟

– كما تشاء .

لا أعرف لماذا لم أشعر بالارتياح لنبرة صـــوتها، لكـــنى تابعت اللعب و لم أكترث لها .

فى اليوم التالى عدت من عملى وتناولت الغداء ودخلت مكتبى لاستكمال البطولة فلم أجد **دراعات البلايستيشن**،

ولما سألتها أخبرتنى أنها وجــدتهم متــسخين فقــررت أن تنظفهم..

بحثت عنهم فى كل مكانٍ حتى وجدتهم ..

كانوا غارقين فى إناءٍ من الماءِ والصابون !

هدية

عدت من العمل متأخراً بعض الشىء، كانـــت تقــف خلف الباب وقد عقدت حاجبيها وشبَّكت ساعديها أمـــام صدرها وراحت تهز إحدى رجليها واكتفت بالارتكاز على الأخرى، بدت فى حالة إعلان حرب واضحة وصريحة، حتى رأت بين يدىَّ علبة ملفوفة بورقٍ ملون، فانفك حاجباهـــا وتهللت أساريرها وانفتح ساعداها وأسرعت لتخطف مـــنى الهدية وهى تهتف :

- هدية عيد مولدى ! كنت واثقة أنك لن تنسى .

أسرعت بإبعاد العلبة عن مجال يديها قائلاً:

- ليس بهذه السهولة، لن تأخذيها إلا فى مراسم رسمية .

- ماذا تقصد ؟

- أقصد أن تعدى لنا كعكة شهية بالشيكولاتة، وتقيمى حفلاً يليق بهذه الهدية الفخمة .

كاد لعابها يسيل على الهدية وبدت لا تطيق صبراً عليها، لكنها ما لبثت أن قالت فى حسرة:

- لا تكن سخيفاً، أنت تعلم أننى لا أعــرف كيفيــة إعدادها .

- اممم .. حسناً .. أظن أنه لا مانع عندى أن تكــون الكعكة جاهزة .. **دليفرى** .. على حسابك طبعاً .

نظرت إلى الهدية التى يحيط الغموض بها وراحت تتوقــع ما فيها بمخيلتها الواسعة، قامت فى لهفة إلى هاتفها تطلــب الكعكة **دليفرى** وتوصى بسرعة توصيلها .

ذكَّرتها بباقى الشروط؛ لابد أن يكون الحفل لائقاً بهــذه الهدية، فقامت من فورها تنفخ البالونات وتعلــق الــشرائط الملونة وأنا أكتفى بمغازلة هديتى الغامضة .

أخيراً جاءت الكعكة وبدأ الحفل، وحانــت اللحظــة الحاسمة ..

فتحت الهدية فسقطت مغشياً عليها حينما وجدتها ..

دراعات بلايستيشن !

ولية أمر

– طبعاً طبعاً .. كل طلباتك أوامر .. حضرتك تعلمين قدرك عندى .. وأنا أيضاً.. لا تحملى همًّا.. مع السلامة .. فى رعاية الله .

أنهيت المكالمة فوجدتها تقف إلى جوارى وقد وضعت يديها فى وسطها وقالت فى ثورة:

– من هذه التى تكلمها تلك المكالمة الحميمية يا أستاذ ؟

– لا حميمية ولا يحزنون، لا تفتعلى المشكلات .

قالت بسخرية وهى تحاول أن تقلدنى:

– طلباتك أوامر .. تعلمين قدرك عندى .. وأنا أيضاً، وأنت أيضاً ماذا يا أستاذ يا محترم ؟

ومن تكون الهانم ؟

– إنها ولية أمر إحدى تلميذاتى فى الفصل وفى الدرس الخصوصى، تطمئن على مستوى ابنتها .

– ابنتها؟! .. لم يأت لها ذكرٌ طوال المكالمـــة، ثم لمـــاذا تتصل هى ولا يتصل زوجها ؟

– إنها أرملة، مات عنها زوجها منذ سنتين، وهـــى الآن تعيش مع ابنتها بمفردهما، وليس لابنتها أحدٌ سواها .

– ما شاءِ الله، تعرف القصة كاملةً .

– هذه التلميذة بالذات أعدُّها ابنتى .

– الله الله .. تعدها ابنتك، وماذا عـــن أمهـــا الأرملـــة المسكينة ؟

– سيدة فاضلة لم أرَ منها غير كل خير .

– طبعاً هى لا تزال شابة جميلة .

– أعتقد .

– تعتقد! ألا تعتقد أيضاً أنها بحاجة إلى رجلٍ فى هـــذه الظروف ؟

– ربما .

– وأنت هذا الرجل .

– ماذا؟ كفاكِ أوهام مريضة، واتهامات صبيانية، إنها سيدة محترمة.

– تقطع علاقتك بها .

– أنا لست على علاقة بها أصلاً .

– تعتذر عن ذلك الدرس، ولا ترد على مكالماتها أبداً .

– مستحيل، لا يمكنني التخلي عمن لجأ إليّ، ثم كيف أعتذر منها؟

– دع هذا عنك .

وأمسكت بالهاتف وقامت باللازم ..

في صباح اليوم التالي كانت هذه السيدة تسحب ملف ابنتها من المدرسة لتحوِّلها إلى مدرسة أخرى !

زيارة

– حبيبى .. ما رأيك لو زرنا أمى اليوم ؟

– أأصابها مكروه ؟

– أعوذ بالله، لماذا تقول هذا، إنها بخيرٍ والحمد لله .

– وفيم الزيارة إذن مادامت بخير ؟

– ألا تكون الزيارة إلا حين وقوع مكروه ؟!

– حسناً حسناً، سأفكر فى هذا الأمر .

– لقد أعددت ملابسنا .

– قلت سأفكر، لكن ليس اليوم .

– لماذا؟ إنه يوم إجازتك .

– قولى لنفسك، إنه يوم إجازتى، ومن حقى أرتاح يوم إجازتى، أليس كذلك ؟

– وإذا طلبت منك أن نزورها فى غير يوم إجازتك تتعلل لى بالعمل وحاجتك للراحة بعد العمل، فمتى يكون الوقت

المناسب للزيارة إذن؟ أتريدينى أن أقطع رحمى وأقاطع أهلى حتى تستريح، نحن لم نزر أمى سوى مرة واحدة مـــن يـــوم تزوجنا .

– لم يمضِ على زواجنا سوى سبعة أشهر !

– لن ترتاح إلا حين تصيبنى بـــسكتة قلبيـــة أو ذبحـــة صدرية، سبعة أشهر لم أذهب فيهم إلى أمى ســـوى مـــرة واحدة، أهذا معقول ؟ من يرضى بهذا ؟

– حسناً حسناً، كفاكِ ندباً، بعد أن نتناول الغداء سأنام ساعتين ثم نذهب بعدها .

– تنام ساعتين ؟! لم يمضِ على استيقاظك بالأصل سوى ساعين، سنذهب بعد الغداءِ مباشرةً .

تمتمت قائلاً: قاتل الله من نصحنى بالزواج !

– أتقول شيئاً ؟

– أبداً، كنت أقول أسرعى حتى نتمكن من زيارة أمـــى أيضاً .

– ماذا .. أمك ؟

- نعم .. ألديك اعتراض ؟ أم تريدينى أن أقطع رحمى وأقاطع أهلى ..

- حاشا لله .. لكنك كنت محقاً .. اليوم يوم إجازتك، وأنت بحاجة للراحة، فلنؤجلها إلى يومٍ آخر .. أتعلم .. لقد تذكرت الآن فقط أننى لم أغسل منذ أسبوع !

مها

كنا نتسوق يوماً حين سمعت صوتاً مألوفاً ينادينى، التفت ناحية الصوت فإذا بـــ مها تقف خلفى مباشرةً، كان أمـــراً غير متوقعٍ بالمرة، المهم .. عرَّفتها بزوجتى، فتبادلتا التحية، ثم أخبرتنى مها أنها تزوجت وأنجبت طفلاً، وكانت المفاجأة أن اسم ابنها كاسمى، لم يتجاوز حديثنا دقائق معدودة كنـــت أراقب فيها نظرات زوجتى الحادة المصوَّبة فى اتجاه مها .

انتهى الحديث وودعتنا مها وانصرفت، فقررت زوجتى أن تفتح المحضر فى ساعته وتاريخه:

- من هذه ؟
- مها .
- عرفت، أعنى من تكون مها ؟
- اممم .. خطيبتى القديمة .
- كنت واثقة من ذلك .

– ماذا تقصدين ؟

– كان بادياً من كلامها الرخيص .

– رخيص ؟! هى لم تتكلم سوى بضع كلمات .

– ألم تلحظ عينيها، وكأنها كانت تقول لك: عُد إلىَّ يا حبيبى، لا أحتمل البعد عنك أبداً يا حبيبى ..

– اتقِ الله .. إنها امرأة متزوجة وأم لطفلٍ صغير .

– ذلك الذى أسمته باسمك .. أرأيت ؟

– رأيت ماذا ؟

– لا تزال تحبك .. اعترف .

– أعترف بماذا؟! ثم ولنفترض .. ما شأنى أنا بهذا، أولست مخلصاً معكِ ؟

– وما أدرانى ؟

ثم دخلت فى نوبة بكاء معتادة، فهى ما تكاد تخسر حرباً حتى تلجأ إلى سلاح الدموع فتدك به حصونى فأرفع لها راية التسليم .. لم تهدأ يومها وتكف عن البكاء إلا بعد أن صالحتها بسوارٍ وخاتمين من الذهب !

دورية تفتيش

بات انقطاع التيار الكهربى أمراً اعتيادياً، لا نترعج حين يحدث، بل إننا صرنا نترعج حين لا يحدث !

فى إحدى المرات وأثناء انقطاع التيار قالت فى براءة:

- أعطنى هاتفك .

ارتبكت بشدة وبدأت أتصبب عرقاً وحمدت الله أننـــا غارقان فى الظلام حتى لا تلحظ ارتباكى، وعمدت إلى تغيير مسار الحديث ..

- صحيح .. متى سيتزوج أخوكِ .. نريد أن نفرح به ..

- لا تذكِّرنى، إنه يعانى مع أنسبائه، طلباتهم لا تنتـــهى، ولا شىء يعجبهم، إنهم يـــستغلون حبـــه لابنتـــهم أســـوأ استغلال.. دعك منهم الآن، أعطنى هاتفك .

- أخبرينى أولاً عن صحة أمك .. ألازال ذلك المـــرض اللعين يدب فى جسدها ؟

– أى مرض؟ أمى بخير صحة .. من قال إنها مريضة ؟

– أأ .. لا أعرف .. أذكر أننى سمعت أنها مريـــضة .. يبدو أنها إشاعة مغرضة تهدف إلى إثارة البلبلة !

– بلبلة! عموماً لا تقلق .. لقد كانت معى على الهاتف منذ قليل، أعطنى هاتفك !

– لن تصدقى .. أتذكرين أستاذة عطيات .. لقد تقدَّم لها خاطب!

– وما شأنى بهذا ؟ أعطنى الهاتف لـــو سمحـــت .. ألا تسمعنى؟

– أى هاتف ؟

– هاتفك .

– لا أذكر أين وضعته .

– إنه فى يدك !

– أه .. صحيح .. لكن .. لكنه ليس فيه رصيد .

– لا عليك .. لا أريد إجراء مكالمات .

– امممم .. ثانية واحدة أتفقد البطارية ..

مــــسح جميـــــع الرســـــائل .. نعـــم

مـــــسح جميـــــع الـــــصور .. نعـــم

مــسح جميــع مقـــاطع الفيـــديو .. نعـــم

مـــــسح جميـــــع الأرقـــــام .. نعـــم

- تفضلى .

- ياه .. كل هذا لتعطينى الهاتف لأعرف كم الـــساعة الآن !!

المعسكر

- آلو .. حبيبتى .. كيف حالك ؟

- بخير، وأنت؟ هل أصابك مكروه؟ ليس من عادتك أن تتصل بى وأنت فى العمل !

- اطمئنى أنا بخير، كنت أريدك فقــط أن تجهــزى لى حقيبتى، سأسافر مع المدرسة فى معسكر صيفى .

- تسافر ؟

- نعم أسبوعاً واحداً، فى مرسى مطروح، من فــضلك أعدى الحقيبة سريعاً ولا تنسى حقيبة الصيد؛ سنعلم الطلاب الصيد، سآتى بعد ساعة لآخذ الحقيبة، السفر اليوم .. آه .. لا تنسى وضع شاحن الهاتف فى الحقيبة .

صمتت فجأة فشعرت بالشك يساور قلبها، وتأكد ذلك لى من نبرتها وهى تقول:

- وهل تَحَدَّد المعسكر فجأة ؟!

– بالطبع لا، لكن قبولى للسفر معهم هـــو مـــا كــــان مفاجئاً، فقد قبلت بعد إلحاحٍ من الجميع، وجـــدتها فرصـــة لتحسين علاقتى بالمدير، كما أنها فرصة لكِ لتقـــضى وقتـــاً رائعاً مع والدتك، صحيح .. تأكدى من وضع الشاحن فى الحقيبة .

مر الأسبوع سريعاً وعدت إلى زوجتى مشتاقاً، ســـألتنى عن المعسكر، فأخبرتها أننى لم أشعر بالسعادة لابتعادى عنها كل هذه الفترة .

ثم عاتبتها على نسيانها للشاحن خاصتى .

لم أكد أنتهى من هذه الجملة حتى بدأت ملامحها تـــتغير وكأنها تتحول إلى المرأة الخارقة ..

أقسم أننى رأيت العضلات تتفجر من ذراعيهـــا وهـــى تقول فى حدة:

– الشاحن ! لقد وضعته ..

لكن فى حقيبة الصيد !

تدخَّل كل زملائى مشكورين ليقنعوها أننا حين وصلنا علمنا أن الصيد ممنوع هناك، كما وجدنا الشمس تسكب كل صفرتها علينا وتصوب إلينا جام غضبها، فقررنا تخصيص وقت الصيد للسباحة، خاصةً أن البحر كـــان هـــو المـــلاذ الوحيد من هذه الحرارة القاتلة، ولم تقتنع إلا بعد أن عرضوا عليها صور المعسكر .

جرت كل هذه المساعى وأنا فى معسكرٍ آخر فى أحـــد مستشفيات العظام أعانى توابع الحوار الذى دار بيننا عقـــب عودتى من معسكر المدرسة !

مصيف

كنت عائداً من عملى أردد دعاء الاقتراب من المــترل: اللهم باعد بيننا وبين خطايانا كما باعدت بــين المــشرق والمغرب، على أننى لا أعنى مطلقاً أن زواجى منها كان خطأً لا قدر الله، إنما كان شرًّا لابد منه !

فتحت الباب فى هدوءٍ خشية أن أزعجها، ودخلت دون أن تشعر بى فقد كانت على الهاتف مع أمها:

- حسناً .. لا تقلقى .. سأتصرَّف .. اعتمدى علىَّ .. مع السلامة .

أنهت المكالمة قبل أن تلحظ وجودى ..

- حبيبى .. متى عدت؟ لم أنتبه لمجيئك .

- عدت لتوِّى .

- حمداً لله على سلامتك، أمى ترسل إليك سلاماً حارًّا.

- حارًّا؟! تكفينى حرارة الجو !

– ادعُ لأمى إذن، فقد رحمتك من حرارة الجو .

– كيف؟ هل اشترت لى سحابة ؟!

– كفاك سخرية، لقد حجزت لنا أسبوعاً فى أحد المصايف .

– ماذا؟ ومن أين لنا بنفقات المصيف؟ راتبى لا يكفى، اصرفى نظرك عن تلك الفكرة .

– لا تتعلل بالنفقة .. اقترض .

– نستدين من أجل المصيف؟! وفيم هذا العناء ؟

– إنه الصيف الأول لنا معاً، كيف لا نذهب إلى المصيف ؟

– لن نذهب .. وهذا قرارٌ نهائى .

وكعادهما إذا شعرت بضعف موقفها وثباتى على رأيي، بكت وتركت لمدامعها العنان، ولأن قلبى لا يحتمل دموعها رقَّ لها ووافقت على المصيف ..

ليلة السفر كنا قد أعددنا جميع حقائبنا وتأكدنا أكثر من مرة أننا لم ننسَ شيئاً ..

وقبل أن نأوى إلى الفراش سمعنا طرقاً على الباب، ولمـــا فتحت اندفع إخوتها الصغار إلى الداخل دون سلامٍ ولا كلام وفى أيديهم حقائب كثيرة ..

نظرت إليها مستفهماً فقالت فى براءة:

– نسيت أن أخبرك .. إخوتى سيرافقوننا فى المصيف !

موعد

كنت أمام المرآة مرتدياً رداءً أنيقاً أصفف شعرى وأنا أدندن أغنيةً ما حين دخلت علىَّ مندهشة:

– ما كل هذه الأناقة .. هل تنوى الخروج ؟

– لا .. كنت أجرِّب الملابس فحسب !

– هل تسخر منى ؟

– نعم !

– وإلى أين بكل هذه الأناقة ؟

– لدىَّ موعدٌ مع بعض أصدقائى .

– وتتركنى وحدى ؟

– أنا أجلس معكِ كل يوم .

– وهل تمنُّ علىَّ بذلك .. أليس هذا حقى ؟

– وهل أنكرت ذلك لا قدَّر الله، لكنه يوم .. يومٌ فحسب .

– لقد تغيرت كثيراً ..

لم أجبها وعدت إلى تلك الأغنية التى كنت أدندها فقالت فى حزنٍ مصطنع: ألم أقل لك، لقد تغيرت كثيراً عن أيام الخطوبة، أين أنت من هذه الأيام، كنت تنسى الدنيا بأسرها لأجلى، كنت تفضلنى على الجميع، تتمنى أن نتزوج حتى لا أغيب عن عينيك، ولما تزوجنا تتركنى لتقابل أصدقاءك ..

– أين وضعتِ العطر ؟

لا أدرى لماذا انفعلت إلى هذه الحد وراحت تصرخ فىَّ:

– أنصت إلىَّ .. إنى أكلمك ..

– حقاً؟ لم أنتبه .. ماذا كنتِ تقولين ؟

– طبعاً .. لا تلقى لى بالاً ولا تعيرنى اهتماماً، ما عدت مشغولاً بى ولا مهتماً بمشاعرى ..

– حبيبتى .. اختصرى .. ماذا تريدين ؟

– ألا تخرج مع أصدقاءك .

– ماذا ؟

- ونخرج سوياً .

- أبداً .. لا تحاولى .. أنا لا أخلف مواعيـــدى أبـــداً، قُضى الأمر .

لساعتين كاملتين كنت أغالب النوم أمـــام التلفـــاز فى انتظار ارتداء الهانم لملابسها لنخرج سوياً !

الحب سراً

– أريد مائتى جنيه .

أجبتها دون أن أحوِّل نظرى عن الكتاب المفتوح بين يدىِّ:

– إن شاء الله .

– الآن .

نظرت إليها مبتسماً:

– عفواً، لقد نفد رصيدكم، برجاء الانتظار للشهر القادم .

– أتمازحنى ؟

– حاشا لله، لكن راتبى نفد، انتظرى للراتب الجديد .

– الأمر لا يحتمل الانتظار .

– وفيم تريدين هذا المبلغ ؟

– لشراء مبرد أظافر !

– بمائتى جنيه ؟!

– إنه مبرد كهربى .

– يا للسفه !

– ماذا قلت ؟

– أأ .. قلت يا للأسف .. عليك الانتظار لأول الشهر .

– لماذا؟ أين أضعت راتبك؟ حسب حساباتى يتبقى معك مائتى جنيه، فيم تنفق مالك دون علمى يا أستاذ؟

– اشتريت مجموعة كتب .

– كتب؟ بمائتى جنيه؟ ما هذه السفاهة؟ تنفق مائتى جنيه على كتب؟ ما الذى تستفيده من أكوام الأوراق المتراكمة على الأرفف؟

– ألم تكونى سعيدة بالكتب أول زواجنا؟

– كانت مكملة للديكور، لكن الأمر زاد عن الحد !

– ديكور! يا سيدتى إن القراءة غذاء العقل .. إنها عشقى الأول .

نظرت إلى نظرةً ارتعدت منها فرائصى وعرفت منها أنى قد اقترفت خطأً جسيماً، فعمدت إلى استدراكه:

– الثانى .. أقصد عشقى الثانى .

ردت فى حسم:

– لا عشق لك غيرى .. مفهوم ؟

– لقد أقلعت عن القراءة إلى الأبد !

بدءاً من هذا اليوم كنت **أتسحّب** مــــن جوارهـــا فى **نصاص** الليالى لأختلى ببعض الكتب خلسة..

وطبعاً اقترضت لها مائتى جنيه !

لا تقطف الزهور

كنا قد خرجنا لنتنزّه حتى تكف عن الادعاء أننى أحبسها فى المترل ولا أنزهها أبداً، وأثناء سيرنا قابلتنا حديقة غنَّـــاء عامرة بالورود الجميلة العطرة فوقفت أمامها وأشارت إليها قائلة:

– ما أجمل هذه الورود ! هلا قطفت لى واحدة .

– ماذا تقولين ؟ هل فقدتِ صوابك ؟

– لماذا ؟

– أنا أقطف ورداً ؟! .. مستحيل .

– وما المشكلة فى ذلك ؟

– ألم تدرسى فى الصف الثالث الابتدائى نشيد لا تقطف الزهور ؟!

– أتمتنع عن إهدائى وردة بسبب نشيد الصف الثالـــث الابتدائى ؟!

– ليس هذا فحسب، لكنى أعجب كيف تطلبين منى أن أزهق روح وردة .. تلك النبتة البريئة التى لم تقترف ذنباً سوى أنها أعجبتك، فيكون جزاؤها أن ننتزع حياتها .. أليست هذه سخافة ؟

– كل هذه الخطبة لأننى طلبت وردة !

– إنها جريمة لا تغتفر، إنها سلب حياة مخلوق رقيق برىء.

– يا سلام، وماذا لو لم تطرح هذه الشجرة ورداً وطرحت بطاطس، أكنت تمتنع عن قطفها أيضاً ؟

– الأمر مختلف، الخضر نقطفها لنستفيد بها .

– وهل اختزلت الفائدة فى ملء المعدة، أليس فى ملء الأفئدة أية فائدة ؟

– ولنفترض، املئى منها فؤادك وهى فى موضعها !

– ألم تشترِ لى وروداً يوم أتيت لتخطبنى ؟

– نعم، لكننى اشتريتها و لم أقطفها .

- أتقصد أنك مادمت لم تشارك فى الجريمة فلا يعنيك وقوعها ؟

- أأأ .. ليس الأمر كذلك ..

- كما أنك تحب العطور حبًّا جمًّا والعطور لا تأتى إلا بقتل الورود وتعذيبها حسب منطقك .

- ولكن ..

- يا زوجى العزيز، إن الله قد خلق بعض المخلوقات لتكون طعمة لبطوننا، وبعضها لتكون طعمة لأرواحنا، وهذه الزهرة التى ترفض قطفها حفاظاً على روحها ستذبل غداً وتفقد حياتها أيضاً فوق شجرتها، فلا تحرمها أن يكون لحياتها معنى ولوجودها رسالة !

حسناء

كانت جارتنا الحسناء تقف فى النافذة المقابلــة نتبــادل النظرات والابتسامات وبعض الكلمات حين تبدَّلت نظراتها فجأة وبدا الارتباك واضحاً عليها وما لبثــت أن دخلــت وأغلقت النافذة ..

علمت وقتها بما لا يدع مجالاً للشك أن مفرق الجماعات يقف خلفى، التفت فى حذر فوجدتها خلفى مباشرةً تقف فى وضع الاستعداد؛ يداها فى وسطها، جسدها بالكامل يهتــز، حاجبها الأيسر يكاد يقفز من وجهها ..

- هل جئت فى وقتٍ غير مناســب؟ هــل قاطعــت خلوتكما ؟

- ماذا تقصدين ؟

- من تلك يا أستاذ ؟

- إنها .. إنها جارتنا الجديدة .. حسناء .

– أتتغزل فيها فى وجودى ..

– لا لا .. لقد أسأتِ الفهم، إن اسمها حسناء .. وهـــل أستطيع التغزل فى سواك، وهل يستحق غيرك الغـــزل يـــا حبيبـــ ..

– دعك من هذا، لا تغير الموضوع، من تكون الهانم ؟

– إنها حسناء، مطلقة ووحيدة، ليس لها أبناء، طلقهـــا زوجها لأنها لم تنجب، لم ترغب فى العيش مـــع والـــديها وفضَّلت أن تعيش وحـــ ..

توقفت فجأة عن الحديث حين أدركت أننى جنيت على نفسى، وألقيت بها إلى التهلكة، نظرت إلىَّ بعينين ضـــيقتين وقالت:

– أكمل أكمل .. لماذا توقفت .. من أين لك بكل هذه المعلومات يا أستاذ ؟

– الناس .. الناس لا يتركون أحداً فى حاله .

أحضرت كرسياً وجلست عليه بجوار النافذة وفى يـــدها عصا المكنسة، بدت أشبه بالحراس فى الأفلام القديمة !

فى اليوم التالى عدت من عملى أبحث عن النافذة الـــتى اختفت تماماً من الغرفة، حتى أتانى صوت الهانم من المطبخ:

– لقد أحضرت بنَّاءً اليوم فأغلق موضع النافذة تماماً .. فقد كانت منفذاً للحشرات والبعوض !

مهمة قومية

كنت أتفقد بعض القنوات التليفزيونية حين قفزت مـــن مقعدها كمن وخزه مخيط وصرخت فىَّ:

– عد إلى تلك القناة، إنها تعرض فيلماً رائعاً يحكى عن جريمة قتل غامضة، ستكتشف فى نهايته أن الزوجـــة هـــى القاتلة..

– ما شاء الله، تلخصين فيلماً كاملاً فى بضع كلمات..

– دعنى أكمل لك .. لقد قطَّعته إرباً ووضعته فى أكياسٍ سوداء .

– ما هذه الوحشية، هل تسمين هذه امرأة ؟

– إنه يستحق ما جرى له، لقد تزوَّج عليها .

– تقتله لأنه تزوَّج عليها؟! أتعلمين أنهم فى بعض الدول الأوروبية يفرضون راتباً إضافياً للرجل إذا تزوَّج زوجة ثانية؛ تشجعياً للرجال على الزواج .

– حقاً ؟!

– نعم إنه يؤدى مهمة قومية، لقد ارتفعت نسبة النساء إلى الرجال حتى صارت ثمانية إلى واحد تقريبـــاً، تخيلـــى .. مصير سبع نساء من كل ثمانية إلى العنوسة، لـــذلك تقـــدَّر الدول المتقدمة مجهودات الرجال فى تقليـــل هـــذه النـــسبة الكبيرة.

– يا سلام !

– بالطبع، ولهذ أباح الإسلام تعدد الزوجات، فالرجال يموتون فى الحروب والمعارك، وتبقـــى النـــساء، كمـــا أن الدراسات الحديثة كلها أكدت أن معدلات أعمار الرجـــال أقل بكثير من معدلات أعمار النساء، مما يخلق أزمة كـــبيرة جداً لا تقدِّرين مداها لأن الله أنعم عليكِ بنعمـــة الـــزواج، بينما تعانى ملايين النساء فى العالم كله من عدم إيجاد هـــذه الفرصة .

– اممممم .. تصور لم أكن أعرف كل هذا !

- نحن معشر الرجال نضحى من أجـــل بقـــاء هـــذا الكوكب وحفظ جنس البشر واستمراره، وعـــدم حرمـــان النساء من فرصهن فى الحصول على أزواج .

- يا لها من تضحيات عظيمة .. صحيح .. لقد كدت أنسى، غداً وأنت عائدٌ من عملـــك أحـــضر لى أكياســـاً سوداء.. يبدو أننى سأحتاجها قريباً !

مخلوق متوحش

– النجدة .. النجداااااااااااة ..

لم أحرِّك ساكناً، واكتفيت بمضاعفة تركيزى فى المباراة التى ألعبها، فهى مباراة مصيرية، أما الصراخ الدائر خارجـــاً فقد صار أمراً مألوفاً لا ينقطع عن بيتنا ..

يبدو أنها لما لم تجد صدى لصراخها اضطرت للمجـــىء بنفسها:

– النجدة .. أنقذنى ..

بدت مرتعبة مرتعشة تتساقط الـــدموع مـــن عينيهـــا كسحابة شتاء، لا أنكر أننى شعرت بالخوف عليها مما دفعنى لإيقاف المباراة .. بعد انتهاء الهجمة !

– ماذا بكِ ؟

وضعت يدها على رأسها واستندت إلى الحائط بالأخرى وهى تترنح ..

- أشعر بدوارٍ شديد .. يبدو أننى سأفقد الوعى ..

نهضت من مجلسى مسرعاً فأمسكت بها وأجلستها وأنا أحاول أن أفهم منها ماجرى، غير أن الكلمات كانت تخرج من بين أنفاسها المتلاحقة غير مفهومة، بذلت ما فى وسعى لمنعها من فقدان الوعى وتهدئتها لعلى أفهم شيئاً ..

- لقد هاجمنى ذلك المخلوق البشع، حاولت مقاومته لكننى لم أستطع .. لم أستطع ..

وقبل أن تدخل فى نوبة البكاء المعتادة بادرت بسؤالها:

- أى مخلوقٍ هذا ؟

- لا أستطيع وصفه، كان متوحشاً، هاجمنى بضراوة وأصاب ساقى .

رحت أنظر إلى ساقها وأبحث عن موضع الإصابة فلم أعثر على شىء ..

فركت عينىَّ وأعدت النظر لكن دون جدوى، فنظرت إليها نظرةً يائسة دفعتها للإشارة إلى موضع الإصابة وهى تشيح بعينيها بعيداً وأصبعها يرتعش ..

دققت النظر فرأيت نقطة حمراء لا تكاد تُرى ..

– لا أستطيع تحمل الألم .. أشعر به يـــسرى فى كـــل جسدى ..

خرجت كالمجنون أبحث عن الهاتف لأتـــصل بالطبيـــب فصادفت ذلك المخلوق المتوحش الذى هاجمها ..

كانت نحلة أصغر من عقلة الأصبع الأصغر !

– حبيبتى .. يبدو أن ذلك المخلوق البشع قد انتحر من شدة ندمه على ما اقترفه فى حقك !

أفلا نتأمل !

دخلت علىَّ يوماً وأنا أشاهد التلفاز، فشهقت شـــهقةً كمن رأى عفريتاً، ثم قالت:

– ما هذا الذى تشاهده ؟

– مصارعة .

– بل قل **مسخرة** .

– إنها رياضة ممتعة .

– طبعاً ممتعة، مادمت تنظر إلى أجساد الفتيات العارية، أتسمى هذه **المسخرة** رياضة ؟

– أتغارين ؟

– أنا أغار ؟ ممن .. من هؤلاء ؟ هيهات ! ولكن أيـــن غض البصر يا مولانا ؟

– أنا أتأمل فى بديع خلق الله !

– ويلك! أتجعل الحرام حلالاً، وتسمى الذنب عبادة ؟!

– ما شاء الله صرتِ شيخة تعرفين ضـوابط الحـلال والحرام !

– وهل تنكر أن هذا حراماً ؟

– هذه أمورٌ خلافية، للفقهاء فيها أقوال !

– أتصدق ما تقول ؟! لا تخدع نفسك، الأمر واضـحٌ جلىّ .

– لم تصبحى فقيهة فقط، بل وواعظة أيضاً !

– لا فقيهة ولا واعظة، لكن تذكر كلامك جيداً، وافعل ما يحلو لك .

تركتنى أخيراً أكمل المشاهدة، لكن لسوء حظى كانت المباراة قد انتهت وبدأت منافسات الرجال فأغلقت التلفـاز غاضباً .

بعد يومين عدت من العمل مسرعاً؛ فقد اتـصل بى أبى وأخبرنى أنهم فى طريقهم لزيارتنا .

لما وصلت المترل وجدتها تجلس أمام التلفـاز فى لبـاس البحر، تعجبت من ذلك وأخبرتها أن أسـرتى فى الطريـق

لزيارتنا، فلم تتحرك قيد أنملة واكتفت بإيماءة بسيطة وهـــى تقول فى هدوءٍ:

- أعرف، لقد اتصلوا بى .. يترلون أهلاً ويحلُّون سهلاً .

- انهضى إذن بسرعة وبدِّلى ملابسك فهم على وشـــك الوصول .

- ولماذا أُبدِّل ملابسى وقد ارتديتها خصيصاً لاستقبالهم، قررت أن أتيح لهم لفرصة ليتأملوا فى بديع خلق الله !!

الباقى

كنت متعجباً حين عدت من العمل فلم أجدها خلف الباب كعادها، لكن عجبى ما لبث أن زال حين أطلَّت علىَّ السيدة الفاضلة أمها بوجهها البشوش دوماً، كانتا جالستان تتحدثان فى براءةٍ ووداعة، كنت مؤمناً أنه ما اجتمعت زوجتى وأمها إلا وكان الشيطان ثالثهما، ليس ليوسوس لهما لا سمح الله، وإنما ليتعلم منهما !

– زوج ابنتى العزيز، أشتاق إليك كثيراً .

– لكِ فى قلبى أضعاف ما فى قلبك يا حماتى، إلى أين؟

– أعلم أنك عائدٌ من عملك متعب، نلتقى قريباً إن شاء الله .

انصرفت حماتى وأنا أنتظر توابع هذه الزيارة، التى بدأت مباشرة بعد الانتهاء من تناول الغداء، حيث قالت زوجتى العزيزة فى رقة:

– حبيبى .. لقد مللت من المكوث فى البيت ليل نهـــار، أشعر أننى حبيسة هذه الجدران .

– أأصبحت جنتنا محبساً فى عينيكِ ؟

– دعك من هذه الأسطوانة فقد حفظتها عن ظهر قلب.

– ماذا تريدين ؟

– أريد الخروج .

دارت أحاديث طويلة وشد وجـــذب وانتـــهى الأمـــر بالموافقة على تلبية رغبتها التى تقتضى دخول السينما، تلك الرغبة التى ما لبثت أن تبدَّلت بمجرد مرورنا أمـــام أحـــد الأسواق التجارية، حيث أصرت على الدخول والتسوق .

– لا تحلمى .. ما فى جيبى يكفى بالكاد لشراء العشاء .

– لا تحمل همًّا .. اترك عجلة القيادة اليوم لى .

لم أكن مرتاحاً لابتسامتها الخبيثة ولا لعينيها الـــزائغتين، المهم .. تركت لها الحبل على الغارب تتنقل من متجـــرٍ إلى آخر محملة بالأكياس من هنا وهناك، تلبس هذا وتخلع هـــذا وتقيس هذا، والأهم أنها تدفع أثمان كل هذا وهذا .

عدنا إلى المترل وهى فى غاية السعادة بعشرات الأكياس التى تحملها، وعلىَّ أن أذكر أنها لم تنسى واشترت لى جوربين !

وأمام خزانة الملابس حانت منى التفاتة حانت على إثرها صرخة:

– الجمعية .. الخمسة آلاف جنيه !

مدت يدها إلىَّ وفيها ثلاثون جنيهاً وهى تقول فى براءة:

– هاك الباقى !

الصندوق الأسود

كان البطل يشعل النيران فى المترل بعد أطلق الرصـــاص على زوجته وأهلها، كنت منتشياً للغاية وأنا أشاهد هـــذه المشاهد التى ألهبت حماستى حتى شعرت وكأننى أنـــا هـــذا البطل، وفى غمرة نشوتى سمعت صراخها فارتجفت كل خلية فى جسدى ..

كانت تنظف مكتبتى حسب روايتها حين سقط من بين الكتب هذا الصندوق الصغير مفتوحاً ليفضح خياناتى كمـــا أسمتها ..

- ما هذا يا أستاذ ؟

- لا أعرفه .. لم أره من قبل .. إنه مدسوسٌ علينا !

- أمعن النظر فى الصور والرسائل، أليـــست صـــورك؟ أليس خطك؟

– أأ .. نعم لقد تذكرت، لكننى لم أره منذ زمن، أيـــن عثرتِ عليه؟

– أخبرنى حالاً من هؤلاء .

– حسناً .. ولكن اهدأى قليلاً ..

بدأت تمسك بالصورة تلو الأخرى وتسأل:

– من هذه وكيف تعرَّفت عليها ؟

– سندس .. كانت زميلتى فى الكلية .

– وهذه ؟

– ليلى .. تعرفنا فى المواصلات ..

هبة .. كانت جارتنا فى الشقة القديمة ..

صافى .. لا أذكر كيف تعرفنا !

شمس .. زميلتى فى أول مدرسة عملت بها ..

فيروز .. زميلتى فى ثانى مدرسة عملت بها ..

حنين .. تعرفنا فى زفاف أحد أصدقائى ..

فرح .. كانت قريبة حنين !

توقفت عند إحدى الصور وقالت فى سخرية:

– ألا ترى أن هذه كانت صغيرة جداً .

– إسراء .. كانت تصغرنى بعشر سنوات !

نظرت إلى الصورة التالية وقالت:

– يبدو أنك كنت مغرم بالصغيرات ..

يبدو أنها أصيبت بصدمة عصبية حين أجبتها:

– فى الحقيقة هذه لم أكن أحبها .. إنما كانت حبيبتى تلك التى تقف إلى جوارها .. إنها .. أمها !

عيد الشرطة

كنت جالساً أقرأ الجريدة فإذا بها تدخل علىَّ وتسألنى:

– ما اليوم ؟

قلت دون أن أحرِّك عينىَّ عن الجريدة:

– الثلاثاء .

– أقصد التاريخ .

– 14 فبراير .

– اممم .. ألا يُذكِّرك هذا التاريخ بشىء .

اتسعت حدقتاى فجأة وكأننى عثرت على كترٍ وهتفت فى سعادة:

– ياه .. لقد كدت أن أنسى .. مباراة الأهلى والمحلة !

– محلة! إنها عيد الحب يا أستاذ .

حاولت أن أدارى ارتباكى بابتسامةٍ مصطنعة:

– هابى فالانتين، أتظنين أنى قد نسيت، أبداً ..

ضيَّقت عينيها ورفعت حاجبيها وسددت نظراتها إلىَّ منتظرة أن أكمل كلامى .

- بالطبع لم أنسَ، لكننى .. لكننى كنت أختبرك، نعم .. ووجدتك متذكرة .. يا لك من ماكرة .

نظرت إلىَّ قليلاً ثم قالت: ألا تريد قول شيءٍ آخر ؟

قلت مازحاً ومحاولاً تغيير الموضوع: هل تريدين غلق المحضر ..

لكنها لم تضحك وظلت تسدد نظراتها إلىَّ، فتابعت قائلاً:

- لم أنسَ الهدية أيضاً، لكننى كنت أحب أن تختاريها بنفسك .

- دعك من الهدايا .. ألا تذكر شيئاً آخر ؟

- مثل ماذا ؟

- مناسبةٍ ما .. ذكرى ما ..

- ذكرى .. ذكرى .. نعم .. اليوم ذكرى وفاة ثابت البطل !

انفعلت وصاحت فى غضبٍ غير مبرر بـــالمرة: وفـــاة! مؤكد أنها ليست الذكرى التى أقصدها، ثم بدأت تهدِّأ نفسها وتتنفس بعمق، وتطبع ابتسامة مصطنعة على شفتيها وأنـــا أراقبها فى حذر، قالت وهى تتظاهر بالهدوء: عيد .. أقصد ذكرى عيدٍ يا حبيبى .

- عيد؟ لعله عيد الشرطة ؟

لا أذكر تحديداً ماذا جرى بعد هذه الجملة، غير أن ثورة قامت فى بيتى لا أدرى لها سبباً، انتهت بأن دخلت هى غرفة النوم وأغلقت الباب عليها و لم تجب على نداءاتى المتواصـــلة التى لم يقطعها سوى صوت الهاتف ..

كانت أمى تتصل لتهنئنى بذكرى عيد زواجى !

عيد الأم

– حبيبتى .. ما رأيك لو نخرج اليوم ؟

كان هذا السؤال كفيلاً بتغيير معالم وجهها، نظرت إلىَّ قليلاً فى صمت تترقب أن أستدرك أو أن أخبرها أنها كانت مزحة، فلما لم يحدث وضعت يدها على رأسى تتحـــسس حرارتى ..

– أأنت بخير ؟ أتعانى من شيء ؟ أتعى ما تقول ؟!

– أنا بخير، وفى كامل قواى العقلية، إن كنتِ لا ترغبين فى الخروج فلا بأس .

– أنا لا أرغب ؟! ثوانى وأكون مستعدة .

ربما كانت تقصد ثوانى وتبدأ فى الاستعداد الذى استغرق ساعات نسيت خلالها أننا قد عزمنا الخروج !

ولما خرجنا لم تستطع أن تخفى ذهولها وأنا أعرض عليها دخول أحد المحلات بغرض التسوق ..

– مستحيل .. أأنت من يطلب منى ذلك؟ بدأت أقلـــق عليك .. هل فقدت عقلك؟ يبدو أنى أحلم، لم أكن أتخيل أنى سأحيا حتى أعاصر هذا اليوم !

– لا تبالغى ياحبيبتى .. تعرفين أن غداً هو عيـــد الأم، وأريد منكِ اختيار هدية مناسبة لأقدمها لأمى .

فى لحظة تبددت سعادتها واســتعادت معــالم وجههــا القديمة، وقالت فى رتابة:

– أمك؟! هل خرجنا حتى نشترى هدية لأمك ؟!

– نعم يا حبيبتى .. فأنا أثق فى ذوقك الرفيــع، لــذلك استعنت بك فى هذه المهمة .

ربما لم يستغرق أمر البحث عن هدية مناسبة وقتاً طويلاً، غير أن ما لفت نظرى أنها كانت تتجاوز الهــدايا الجميلــة الغالية، بينما كانت تفاضل بين الأشياء الرخيــصة عديمــة الجمال التى بدت وكأنها تفتقر لأى ملمــحٍ مــن ملامــح الذوق.. لكنه على أية حالٍ اختيارها ..

اشتريت الهدية التى اختارتها هى بعدما أشرفت بنفـــسها وبعد إلحاحٍ منى على تغليفها، ثم قمت بتقديمها لها، وكادت أن تفقد الوعى وأنا أقول لها بكل الحب:

- كل عامٍ وأنتِ بخير يا أمى الصغيرة .. كنت أحب أن تختارى هديتك بنفسك !

تغيرنا

كانت تجلس إلى جوارى وأنا أُمتِّع عــيـنىَّ بــالممثلات الحسناوات ..

– يا إلهى .. سبحان من أبدع هذا الجمال .. يالحسنها ورشاقتها، كم هى أنيقة ورقيقة، ما كل هذه الأنوثة !

– أية رشاقة وأية أناقة ؟ عليك أن تقصد طبيب عيـــون لتطمئن على سلامة نظرك !

– وماذا تفهمين أنتِ فى الجمال ..

– عن أى جمال تتحدَّث .. كل ما تراه ما هو إلا نتاج عمليات تجميل، العبرة بالجمال الطبيعى .

– وأين هذا الجمال الطبيعى ؟

– هل عدمت عينيك ؟!

– بل أنتِ من عدمتِ المرايا !

– ماذا تقصد ؟

- لا أقصد شيئاً .. دعينى أمتِّع ناظرىَّ ..

أغلقت التلفاز وقالت فى ثورة:

- أنا أحدِّثك ..

التفت لها أخيراً وقلت وأنا أحاول ألا أنفعل:

- وماذا تريدين ؟

- أما عدت أعجبك ؟

- وهل تعجبين نفسك .. انظرى فى أية مرآة، أين أنت من أيام الخطوبة، أين اهتمامك بنفسك ورعايتك لمظهرك، انظرى إلى وزنك الذى يزيد يوماً بعد يوم، انظرى إلى وجهك الذى اشتاق لمساحيق التجميل التى لا تلتقى به إلا حين نخرج، أخبرينى لمن تتزينين؟ من أحق بالزينة؟ تتأنقين خارج البيت، وتنوين الزهد والتقشُّف والتصوُّف داخله، لا أشم منك إلا عطور المطبخ، أما تلك العطور الباريسية فهى من نصيب الشارع فقط ..

- ما كل هذه الاتهامات .. ألا تتهم نفسك ولو قليلاً ..

- وبم أتهم نفسى ؟ أنا لا أقصِّر تجاهك فى شىء .

– طبعاً .. كل التقصير من جانبى، وهل تظن أن إهمالى لنفسى له سببٌ سواك، أتنكر أننى كنت أهتم بنفسى وبملابسى وشعرى وعطورى أول زواجنا، أتنكر أننى كنت أهدر الساعات من عمرى أمام المرايا أتزين وأتهيَّأ لك ؟

– لا أنكر، بل أتعجب من ضياع ذلك كله !

– لا تتعجب فأنت من أضعته، أنسيت أنى كنت أقف أمام خزانة الملابس بالساعات فى حيرة أأرتدى هذا أم هذا، أتساءل هل يعجبه هذا أكثر أم هذا، وأقف ساعات أخرى أمام المرآة أتزين لك وأترقَّب عودتك بفارغ الصبر، فتعود ولا تنتبه لتصفيفة شعرى ولا عطرى الجديد، لا أتلقى منك كلمة إعجاب واحدة، ثم بعد ذلك كله تتركنى وتخرج لتلتقى أصدقاءك، ولا تعود إلا فى موعد النوم، وحتى إن لم تخرج تفضِّل علىَّ البلايستيشن، وتجلس أمامه طوال اليوم، وتتركنى تقتلنى الوحدة، لست وحدى المقصِّرة .. لست وحدى ..

خاتمة

هكذا حياتنا .. لا يومٌ يمضى بلا خلافات، ولا ليلةٌ تنقضى بدون مشكلات، وهذه سُنَّةٌ كونيةٌ لا مفر منها، يومٌ سعيدٌ ويومٌ تعيس، نختلف حيناً ونتفق حيناً، لكن يبقى بيننا ذلك الحب الأبدى الذى يحمينا من خطر الاستسلام لهذه المشكلات وتلك الخلافات ..

وأكاد أُجزم أننا سنبقى على هذه الحال أبداً .. نلتمس شيئاً من السعادة والرضا، ونصيب بعضاً من الشقاء والسخط، ففى النهاية نحن لا نسكن الجنة، وهذه حال الدنيا، ولن تتغير يوماً ،وسنبقى ما بين خلاف ووفاقٍ طالما أنا حىٌّ أُرزق، وهى .. حيَّةٌ تسعى !!

فهرس

تنويه 3
اللهم بلغنا الفلانتين ! 5
الأسطورة 8
التدييسة 11
السبت 13
الخطوبة 16
اجتماع 19
كل عامٍ وأنت حبيبتى 22
الآنسة ى..................................... 25
لا صوت يعلو فوق صوت الشقة 28
لسنا أقل من أحد 31
صحتك بالدنيا 33
ليلة النصف من فبراير 36
مادة رقم 1 44

النصيحة 47
ست بيت 50
درس خصوصى 53
فأر 56
فى بيتنا نووى 59
شموخ 62
المباراة 64
باشميل 67
هجوم فضائى 70
معركة ذات المشابك 73
نصف النهائى 76
هدية 79
ولية أمر 81
زيارة 84
مها 87
دورية تفتيش 89
المعسكر 92

مصيف 95
موعد 98
الحب سراً 101
لا تقطف الزهور 104
حسناء 107
مهمة قومية 110
مخلوق متوحش 113
أفلا نتأمل ! 116
الباقى 119
الصندوق الأسود 122
عيد الشرطة 125
عيد الأم 128
تغيرنا 131
خاتمة 134

هكذا حياتنا . . لا يوم يمضي بلا خلافات، ولا ليلة تنقضي دون مشكلات، وهذه سُنَّة كونية لا مفرّ منها، يوم سعيد ويوم تعيس، نختلف حيناً ونتفق حيناً، لكن يبقى بيننا ذلك الحب الأبدي الذي يحمينا من خطر الاستسلام لهذه المشكلات وتلك الخلافات . .

وأكاد أجزم أننا سنبقى على هذه الحال أبداً . . نلتمس شيئاً من السعادة والرضا، ونُصيب بعضاً من الشقاء والسخط، ففي النهاية نحن لا نسكن الجَنّة، وهذه حال الدنيا، ولن تتغير يوماً، وسنبقى ما بين خلافٍ ووفاقٍ ما دمتُ أنا حيّاً أُرزَق، وهي . . حيَّة تسعى ! !

تصميم الغلاف: مصطفى الجزار
gazzar5@hotmail.com

Ghorab Publishing